

المؤلف في سطور

١ ـ هو حفيد الامام الاكبر السيد ابو الحسن الموسوي الاصبهاني، ولد في النجف الاشرف عام ١٩٣٠ واكمل الدراسات التقليدية في جامعتها الكبرى وحصل على الشهادة العليا في الفقه الاسلامي « الاجتهاد ».

٢ ـ حصل على شهادة الدكتوراه في التشريع الاسلامي من جامعة طهران عام ١٩٥٥.

٣ ـ حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة باريس «السوربون» عام ١٩٥٩.

٤ ـ عمل استاذاً للاقتصاد الاسلامي في جامعة طهران ٦٠ ـ ١٩٦٢.

٥ ـ عمل استاذاً للفلسفة الاسلامية في جامعة بغداد ٦٨ ـ ١٩٧٨.

٦ ـ انتخب رئيساً للمجلس الاسلامي الاعلى في غرب امريكا منذ ١٩٧٩.

٧ ـ استاذ زائر في جامعة هاله بالمانيا الديموقراطية، واستاذ معار في جامعة طرابلس بليبيا عام ٧٣ ـ ١٩٧٤، واستاذ باحث في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، واستاذ موفد الى جامعة لوس انجلوس في عام ١٩٧٨.

مؤلفاته المطبوعة

١ ـ من الكندي الى ابن رشد	عام ١٩٧٢	طبعة بيروت
٢ ـ ايران في ربع قرن	عام ١٩٧٢	طبعة بيروت
٣ ـ قواعد فلسفية	عام ١٩٧٧	طبعة النجف الاشرف
٤ ـ الجديد في فلسفة صدر الدين	عام ١٩٧٨	طبعة بغداد
٥ ـ من السهروردي الى صدر الدين	عام ١٩٨٠	طبعة بيروت
٦ ـ فلاسفة اوروبيون	عام ١٩٨٠	طبعة بيروت
٧ ـ الثورة البائسة	عام ١٩٨٣	طبعة لوس انجلوس
٨ ـ الجمهورية الثانية	عام ١٩٨٥	طبعة لوس انجلوس
٩ ـ الشيعة والتصحيح : الصراع بين الشيعة والتشيع	عام ١٩٨٧	طبعة لوس انجلوس

٢٦/٥/٩١م
من الخال خالد

الشيعة والتصحيح :

الصراع بين الشيعة والتشيع

العلامة الدكتور موسى الموسوي

ريع الكتاب مخصص لشئون التصحيح

عام ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

الشيعة والتصحيح :

الصراع بين الشيعة والتشيع

العلامة الدكتور موسى الموسوي

الامامة والخلافة

التقية

الامام المهدي

الغلو

زيارة مراقد الائمة

ضرب القامات في يوم عاشوراء

الشهادة الثالثة

الزواج المؤقت

السجود على التربة الحسينية

الارهاب

صلاة الجمعة

تحريف القرآن

الجمع بين الصلاتين

الرجعة

البداء

التصحيح بين القبول والرفض

الإهداء

هذا كتاب يدافع عن الإسلام والإنسان والعقل
ابتغيت به وجه الله ورضاه وعونه وغفرانه
وقصدت به الشيعة في كل زمان ومكان
فإلى كل من يتبع نداء الضمير وسعى لإحلال سيادته وأهدافه
أهدي هذا الكتاب

ألفهرس

تقديم

كلمة لابد منها

بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله

وبعد ان ولدت ونشأت وترعرعت في بيت الزعامة الكبرى للطائفة الشيعية ودرست وتأدبت على يد اكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى (١) وحتى هذا اليوم وهو جدنا الامام الاكبر السيد ابو الحسن الموسوي الذي قيل فيه :

« انسى من قبله واتعب من بعده » (٢)

في مثل هذه البيئة المليئة بكل ما قيل ويقال في التشيع والشيعة وبكل الظروف والملابسات التي كانت تحكى عن الخلاف الطائفي بين الشيعة والسنة والذي دام قروناً وقرونا، كنت اعيش الام الخلافات المريرة بين الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى واشاهد عواقبها الوخيمة عن كثب وفي ظل خطوات جريئة وعزومة كان جدنا الامام الاكبر يخطوها لتخطي الصعوبات في ارساء العلاقات الصحيحة بين الشيعة والسنة للوصول الى الوحدة الكبرى بين الطائفتين والتي كانت تصطدم بالسياسات الاستعمارية الحاكمة في العالم الاسلامي تساندها عقول متحجرة واناس متعصبون ومتاجرون بالطائفية البغيضة، بدأت ادرك خطورة المهمة وقداستها في نفس الوقت.

وقد زاد ايماني بها عندما بدأت اعرف ان السبب في قتل والدي بين صلاة المغرب والعشاء في الحضرة العلوية في النجف الاشرف وعلى يد مجرم في لبوس رجل الدين الذي ذبحه كالكبش وهو يصلي في المحراب، انما كانت خطة استعمارية لكي تثني السيد ابو الحسن عن خطواته الاصلاحية ولكن السيد ابو الحسن احتمل المصيبة صابرا محتسبا لله وضرب اروع الامثال في تلقين المصلحين درسا لا زال التاريخ الشيعي لا ينساه الا وهو العفو عن القاتل الذي قتل فلذة كبده واعز الناس الى قلبه وذلك ليثبت ان قلب المصلح لا تزلزله العواصف ولا تضعفه المصاعب ولا تتحكم فيه الاحقاد والثارات وانه يبقى

١ـ الغيبة الكبرى تعني غيبة الامام المهدي الثاني عشر عند الشيعة الامامية الذي غاب عن الانظار في عام ٣٢٩ هجري. راجع فصل الامام المهدي.

٢ـ قائل هذا الكلام هو الامام الراحل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله.

كالطود الشامخ يذود عن العقيدة التي يريد إرساءها في المجتمع ولدى الفرد.

وبعد كل هذا كان من الطبيعي ان تتكون لدي فكرة الانطلاق نحو تصحيح الشيعة في بعض عقائدها او اعمالها ولا سيما تلك التي سببت الخلاف مع الفرق الاسلامية الاخرى والتي كانت بحد ذاتها تتناقض مع روح الاسلام والمنطق السليم وهي كما اعتقد كانت ولم تزل وبالا على المذهب الشيعي حيث ادت الى تشويه سمعته ومسخ معالمه في العالم الاسلامي بل وفي العالم كله.

واعتقد في الوقت نفسه ان سرد الاسباب لا يكفي لحل المعضلة فحسب بل لا بد من تقديم حلول عملية اطلب من الشيعة في كل ارجاء الارض ان يلتزموا بها اذا ارادوا خير الدنيا والاخرة معا، وقد وصلت الى نتيجة حاسمة في تتبعي للخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الاخرى هو ان الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله (ص) او ان الامام علياً اولى بالخلافة من غيره، لانني ارى الشيعة الزيدية وهي تؤلف طائفة كبيرة تربو على الملايين تعتقد باحقية علي بالخلافة بعد الرسول الكريم ولكن الوئام والاخوة والمحبة يسود بينها وبين اهل السنة والجماعة. فاذاً ان السبب الاساسي في الخلاف بين الشيعة الامامية والفرق الاسلامية الاخرى ليس هو موضوع الخلافة بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم اياهم، الامر الذي لا نجده عند الشيعة الزيدية وبعض الفرق الاخرى ولو اكتفت الشيعة الامامية بسلوك الزيدية لقلت الخلافات ولضاقت مساحة الشقاق، ولكن الشيعة الامامية وقعت في الخلفاء الراشدين تجريحاً وإنتقاصاً فكانت الفتنة.

وقد كنت ادعو الله في اناء الليل واطراف النهار ان يلهمني العلم والبصيرة ويمنحني القوة والتوفيق لاداء رسالة التصحيح التي كنت اصبو اليها منذ سني الشباب فكانت نتيجة تلك الدعوات الصالحات هي كتابي هذا :
(**الشيعة والتصحيح : الصراع بين الشيعة والتشيع**) الذي اقدمه اليوم الى الشيعة في كل زمان ومكان.

انه نداء للشيعة مبعثه الايمان المطلق بالله وبرسالة الاسلام الخالدة وبقوة المسلمين وكرامة الانسان. انه نداء يدعو الى الطرق الاصلاحية الكبرى لمحاولة انهاء الخلاف الطائفي بين الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى الى الابد والى ان تقوم الساعة. انها صرخة لله ولاستيقاظ الشيعة من نوم عميق دام

ألفاً ومائتي عام،انها قصة الصراع المرير بين المسلمين حتى يومنا هذا . انه نداء العقل والايمان الى الشيعة كي تنفض عن نفسها غبار السنين وتثور ثورة لا هوادة فيها ولا انتظار على تلك الزعامات المذهبية التي سببت لها هذا التخلف الكبير في الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية وهكذا يدفعني اعتقادي وواجبي أن اوصي ملآيين الشيعة واؤكد عليهم قراءة هذا الكتاب :

«فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل
انما أنا من المنذرين.» النمل ٩٢

صدق الله العظيم

الامامة والخلافة

بدأ الصراع بين الشيعة والتشيع عندما حرفت الشيعة معنى التشيع من حب الامام علي واهل البيت الى ذم الخلفاء الراشدين وتجريحهم بصورة مباشرة، وتجريح الامام علي واهل بيته بصورة غير مباشرة.

الامامة والخلافة

فكرة الخلافة حتى القرن الرابع الهجري
الشيعة والتشيع
الانحراف
التصحيح

عقيدة الشيعة الامامية في الخلافة

كلما تعمقت في الشيعة والتشيع وعقائد الامامية اجد ان هناك هوة عظيمة تفصل بين الشيعة والتشيع قد تصل في بعض الاحيان الى التناقض الصارخ حيث ارى بوضوح ان التشيع شيء والشيعة شيء آخر وكلما تعمقت في تاريخ الصراع بين الشيعة والتشيع تتجلى امامي العصور الثلاثة التي انبثق فيها هذا الصراع مبتدئاً بالعصر الاول وهو عصر ظهور الصراع الفكري بعد الغيبة الكبرى الذي مهد الطريق للعصر الثاني وهو ظهور الدولة الصفوية على يد مؤسسها الشاه اسماعيل الصفوي في عام ٩٠٧ هجري وتأسيس الدولة الشيعية في ايران. ومن ثم العصر الثالث والاخير وهو عصر الصراع الذي نشاهده في حياتنا المعاصرة بين الافكار الشيعية الحديثة والتشيع، تلك الافكار التي عصفت بالمجتمع الشيعي وادت الى نتائج حزينة خطيرة لا تحتملها الارض ولا السماء.

ولكي نضع النقاط على الحروف في رسالتنا الاصلاحية هذه لا بد من طرح الافكار بصورتها الحقيقية ومن ثم إنارة الطريق لكي يكون القاريء على بينة من امره.

الامامة هي الحجر الاساسي في المذهب الشيعي الامامي وهكذا في المذهب الزيدي والاسماعيلي (١) ومنها يتفرع كل ما هو مثار للجدل والنقاش مع الفرق الاسلامية الاخرى. فالشيعة الامامية تعتقد ان الخلافة في علي بعد رسول الله (ص) ومن بعد علي في اولاده حتى الامام الثاني عشر الذي هو محمد بن الحسن العسكري الملقب بالمهدي وان رسول الله (ص)

---

١ ــ الزيدية تعتقد ان الامامة تتفرع من زيد بن علي بن الحسين ابن علي، والاسماعيلية تعتقد ان الامامة تتفرع من اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق.

المح إلى خلافة علي من بعده في مواطن كثيرة ونصَّ على ذلك في مواطن اخرى اشهرها في موقع يسمى (غدير خم) عند رجوعه من حجة الوداع حيث عقد البيعة لعلي وقال:

« من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه.»

كان ذلك في يوم الثامن عشر من ذي الحجة عام ١٢ بعد الهجرة والشيعة تحتفل بهذا اليوم في كل مكان تتواجد فيه وتطلق على هذا اليوم اسم (عيد الغدير).

اما الفرق الاسلامية الاخرى فترى ان الرسول الكريم (ص) ذهب الى الرفيق الاعلى ولم يستخلف احدا من بعده بل جعل الامر شورى بين المسلمين نزولا عند نص الكتاب في الايتين الكريمتين:

« وامرهم شورى بينهم.» الشورى ٢٧
« وشاورهم في الامر.»آل عمران ١٥٩

هذا هو ملخص الخلاف بين الفريقين. ولكل فرقة اراؤها وادلتها حيث الف علماء الفريقين في هذا الموضوع مئات الكتب المطولة والمختصرة، ولم تنفع تلك الكتب بطولها وعرضها في زحزحة الشيعة عما تعتقدها في الخلافة او زحزحة السنة عما تراها اولى بالاتباع. غير ان المشكلة القصوى هي ان هذا الخلاف الفكري لم يتوقف عند هذا الحد بل اتخذ شكلا خطيراً كلما مرت السنوات و بعد العهد عن عصر الرسالة. ولو ان الخلاف بقي محصوراً عند هذا الحد لكان الخطب هيناً، والعالم الاسلامي لم يشاهد في تاريخه الطويل كثيرا من المحن والمصائب التي حلت به بسبب المتفرعات من فكرة الخلافة والخلاف فيها. وكما اشرنا بصورة مقتضبة في مقدمة الكتاب هو ان الخلاف الفكري تجاوز حدود البحث العلمي والاختلاف في الرأي بل اتخذ طابعاً حاداً وعنيفاً عندما بدأت الشيعة تجرح الخلفاء الراشدين وبعض امهات المؤمنين وذلك بعبارات قاسية وعنيفة لا تليق بان تصدر من مسلم نحو مسلم ناهيك ان تصدر من فرقة اسلامية نحو صحابة الرسول (ص)وازواجه صحابة لهم مكانة كبيرة في قلوب المسلمين، وازواج للنبي عبر الله عنهن بامهات المؤمنين.

وهنا ظهر على ساحة الخلاف عدم التكافؤ بين الفريقين في طريقة التفكير والعقيدة فالفرق الاسلامية كلها تحب عليا وتكرمه شأنه شأن الخلفاء الذين

سبقوه وتحترم اهل بيت رسول الله (ص) وتصلي عليهم في الصلاة في كل صباح ومساء. ولكن الشيعة لها موقف آخر من خلفاء المسلمين ، موقف فيه العنف والقسوة والكلام الجارح.

فكانت النتيجة ظهور رد فعل عنيف من قبل علماء الفرق الاسلامية الاخرى للدفاع عن اعز واكرم خلفائهم. فألَّف ودوَّن كتاب السنة وعلماؤها في الشيعة الكتب المطولة والمختصرة معيرة اياها بالكفر مرة وبالخروج عن الاسلام مرة أخرى وهكذا شغلت فكرة الخلافة حيزا كبيرا من الكتب الاسلامية عند الفريقين، ولا زالت الاقلام تكتب والمؤلفات تنشر وكأن المسلمين بكل طبقاتهم لا يواجهون مشكلة في هذه الدنيا المليئة بالاحداث والمكاره الا مشكلة الخلافة فحسب.

لكن الحيرة كل الحيرة هي الطريقة التي اتبعتها الشيعة في معالجتها لمشكلة الخلافة فهي تتناقض كل التناقض مع سيرة الامام علي وسيرة اولاده من ائمة الشيعة. ولذلك تتملكني الحيرة والدهشة عندما ارى ان شعار الشيعة هو حب الامام علي واولاده ولكنهم يضربون عرض الحائط سيرة علي والائمة من ولده.

وهنا اود ان اتحدث مع الشيعة بلغتهم وفي نطاق معتقداتهم كي تكون حجة عليهم ولذلك فلابد من القول انني اواجه أمرين متناقضين احدهما التشيع والآخر الشيعة. ومن هنا بدأت استنتج أن ذلك الصراع الذي حدث بين الشيعة والتشيع بعد الغيبة الكبرى مباشرة هو السبب الاساسي لكل الانحرافات التي حدثت في الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى والى يومنا هذا . ونحن نعتقد ان ذلك الانحراف سبب الشقاق بين الشيعة وسائر الفرق الاسلامية والذي سنفصله في هذا الكتاب كلا في فصل خاص به.

فكرة الخلافة في عهد الرسول (ص).

اذا درسنا موضوع الخلافة في عصر الرسول (ص) وبعد وفاته بصورة مستفيضة لوصلنا الى نتيجة مؤكدة لا يختلف عليها اثنان، هي أن فكرة الأولوية والأفضلية لخلافة النبي الكريم ظهرت بعد وفاته مباشرة فهذا هو عباس ابن عبد المطلب يخاطب الامام علياً عندما كان مشغولا بتجهيز النبي (ص) وكفنه :

« اعطني يدك لابايعك حتى يقول القوم عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله.»

فيقول له الامام:

« وهل يطمع فيها طامع غيري ثم انني لا اريد ان ابايع من وراء رتاج.»

واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لينظروا في امر الخلافة وقالت الانصار للمهاجرين:

« منا امير ومنكم امير.»

وكادت تحدث فتنة بين المجتمعين لولا ان الخليفة عمر ابن الخطاب حسم الامر وبايع ابا بكراً، فبايعه المسلمون بعد ذلك. وترك سعد ابن عبادة شيخ الخزرج الاجتماع غاضباً لانه كان يرى نفسه اولى بالخلافة من غيره، وتخلف الامام علياً عن البيعة بعض الوقت الا أنه بايع الخليفة الجديد ابا بكراً وهو راض عن البيعة مقبل عليها. غير ان فكرة الاولوية كانت تراود نفس الامام ومعه السيدة فاطمة الزهراء وبعض صحابة الامام وبني هاشم حتى ان الخليفة عمر ابن الخطاب قال لابن عباس وهو يشير الى علي:

« اما والله ان كان صاحبك هذا اولى الناس بعد رسول الله (ص) الا انا خفناه على اثنين حداثة السن وحبه بني عبد المطلب.»(١)

ومرة اخرى نستمع الى الخليفة عمر ابن الخطاب وهو على فراش الموت يشير الى الامام علي ويقول:

« والله لو وليتموه امركم لحملكم على المحجة البيضاء.» (٢)

ومن هنا يمكن القول ان فكرة التشيع لعلي بالمعنى الذي اشرنا اليه ظهرت بعد وفاة النبي (ص) واستمرت حتى القرن الثالث الهجري حيث كان التشيع

١ــ شرح نهج البلاغة ج١، ص ١٢٤
٢ــ شرح نهج البلاغة ج١، ص ٦٤

يعني ان الامام علياً اولى بالخلافة واحق بها من غيره ولكن المسلمين نزولاً لاوامر القرآن الكريم الذي يقول:

« وامرهم شورى بينهم.»آل عمران ١٥٩

ارتضوا ابا بكر خليفة والامام ارتضاه كما ارتضاه غيره وبايعه كما بايعه غيره وهكذا كان موقفه مع الخليفتين عمر ابن الخطاب وعثمان ابن عفان فبايعهما واخلص لهما في المشورة والرأي.

التشيع في القرن الثاني الهجري.

منذ اوائل القرن الثاني للهجرة اخذت فكرة التشيع تمثل مذهبا فقهيا هو مذهب اهل البيت وقد تجلى هذا المذهب في زمن انبثقت فيه المذاهب الفقهية الكبيرة الاسلامية الاخرى كالمذهب المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي، وتجلت مدرسة اهل البيت في مدرسة الامام الصادق الامام السادس للشيعة الامامية. وقد كانت الفكرة التي تساند مذهب اهل البيت هي الفكرة القائلة بانه اذا كان الامام علياً اولى بالخلافة من غيره فأولاده ومن ثم حفيده الامام جعفر بن محمد الصادق الذي كان يعتبر من من افقه فقهاء عصره اجدر بان يتبّع في مسائل الدين وشؤونه من غيره من الفقهاء. وهكذا ظهرت المدرسة الفقهية الجعفرية الى الوجود في عهد الامام الصادق الذي كان يلقي محاضراته ودروسه في الفقه وفي علوم اخرى على تلاميذه في المدينة المنورة انذاك. ولا بد من الاشارة الى ان التشيع لعلي واهل بيته بدأ يأخذ شكلا خطيراً بعد مقتل الامام الحسين الذي احدث رد فعل عنيف في العالم الاسلامي وكانت نتيجته المباشرة حدوث ثورات متتاليات ادت الى سقوط الدولة الاموية ومن بعدها المروانية وقيام الخلافة العباسية. وكما نعلم فقد حدثت ثورات متتاليات باسم التشيع لعلي واهل بيته منها ثورة المختار وثورة مصعب بن زبير وثورة زيدبن علي بن الحسين التي انتهت الى استشهاده واستشهاد صحبه، كما ان الثورة التي قطف ثمارها العباسيون والتي اطاحت بالخلافة الاموية في المشرق الاسلامي الى الابد قد بدأت باسم التشيع لاولاد علي واهل بيت رسول الله (ص) وابو مسلم الخراساني كان يدعو لأهل البيت في ابان القيام بثورته ولكنه انحاز الى العباسيين في قصة معروفة جاء ذكرها في كتب التاريخ.

وكان ائمة الشيعة في عهد الخلفاء العباسيين يتمتعون باحترام عظيم لدى المسلمين كما ان فكرة الاولوية والاحقية في خلافتهم كانت تراود كثيرا من الناس، فلولا الرأي العام الاسلامي باحقية اهل البيت بالخلافة لما اختار المأمون العباسي الامام علي الرضا ولياً للعهد، غير ان الرضا توفي في عهد المأمون واستمرت الخلافة في العباسيين. فاذاً ان فكرة التشيع لعلي واهل بيته والتي كانت تظهر بمظاهر مختلفة في المجتمع الاسلامي انذاك كان لها انصارها المتحمسين. ونستنتج من كل هذه المقدمات ان فكرة التشيع كانت موجودة في القرون الثلاثة الاولى بعد الهجرة، وهذه الفكرة كانت تنحصر في النقاط التالية:

اولا: ان علياً اولى بالخلافة من غيره ولكن المسلمين بايعو الخلفاء الراشدين وعلي بايعهم ثم بايع المسلمون علياً بعد عثمان فلا غبار على شرعية خلافة الخلفاء الراشدين من ابي بكر الى علي.

ثانيا: اظهار العداء للامويين وذلك لموقف معاوية من علي ومقتل الامام الحسين في فاجعة الطف وسب الخلفاء الامويين علياً على المنابر زهاء خمسين عاما الى ان قام بالامر عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي فنهى عن سب الامام.

ثالثاً: الرجوع الى اهل البيت في الاحكام الشرعية والمسائل الفقهية.

رابعاً: اهل البيت ولا سيما الائمة من اولاد الحسين اولى بالخلافة من الامويين والعباسيين.

بداية الانحراف في الفكر الشيعي

وبعد الاعلان الرسمي عن غيبة الامام المهدي في عام ٣٢٩ هجري حدثت في التفكير الشيعي امور غريبة ادعوها بالصراع بين الشيعة والتشيع او عهد الانحراف، وكانت اولى هذه الامور في الانحراف الفكري ظهور الاراء القائلة بأن الخلافة بعد الرسول (ص) كانت في علي وبالنص الالهي وان الصحابة ما عدا نفر قليل منهم خالفوا النص الالهي بانتخابهم ابا بكر. كما ظهرت في الوقت نفسه اراء اخرى تقول ان الايمان بالامامة مكمل للاسلام وحتى ان بعض علماء الشيعة اضافوا الامامة والعدل الى اصول الدين اثلاثة التي هي:

التوحيد، النبوة والمعاد وقال بعضهم بأنها من اصول المذهب وليس من اصول الدين وظهرت روايات تنقل عن ائمة الشيعة فيها تجريح بالنسبة للخلفاء الراشدين وبعض ازواج النبي.

ومن الجدير بالذكر انه حتى في خلافة معاوية بن ابي سفيان وعندما كان يامر بسب الامام علياً على المنابر وحتى بعد مقتل الامام الحسين وظهور الثورات الداعية الى الاخذ بالثأر وفي العهود التي كان التشيع يعصف بالخلافة الاموية ويقصم ظهرها ويمهد الطريق للخلافة العباسية لم نجد اثرا لدى المتشيعين لعلي واهل بيته للاراء الغريبة التي ظهرت فجأة في المجتمع الاسلامي بعد الغيبة الكبرى، تلك الاراء التي ساهم بعض رواة الشيعة وبعض علماء المذهب في بثها ونشرها وغرسها في عقول السانجين من ابناء الشيعة. وظهرت في الوقت نفسه فكرة التقية التي كانت تأمر الشيعة بان تعلن شيئاً وتضمر شيئاً اخراً وذلك لحماية الاراء الحديثة التي كانت بحاجة الى الكتمان سواء لنشرها او لحمايتها من السلطة الحاكمة. ولكي يكون لهذه الاراء الغريبة رصيد ديني لا يجوز التشكيك فيها نسبت رواة الشيعة تلك الروايات الغريبة الى ائمة الشيعة ولا سيما الى الامامين الباقر والصادق. ولتثبيت صحة تلك الروايات وعدم الخوض في مضامينها وقبولها كما ذكرت فقد ظهرت فكرة عصمة ائمة الشيعة في ذلك العهد لكي تكون رصيداً آخراً يجعل من تلك الروايات الغريبة روايات مقدسة لا تخضع للنقاش والجدل والبحث والنقض. وقد افردنا لتلك الاراء الغريبة الدخيلة والتي لها علاقة مباشرة بتكوين المذهب الشيعي فصولا خاصة سنناقشها فيما بعد في هذا الكتاب، اما الآن فلنعد الى مبحث الامامة والخلافة لكي نناقش المتغيرات التي احدثها الرواة وعلماء المذهب فيها بعد الغيبة الكبرى.

ان المتتبع المنصف للروايات التي جاء بها رواة الشيعة في الكتب التي الفوها بين القرن الرابع والخامس الهجري يصل الى نتيجة محزنة جداً وهي ان الجهد الذي بذله بعض رواة الشيعة في الاساءة الى الاسلام لهو جهد يعادل السموات والارض في ثقله. ويخيل الي ان اولئك لم يقصدوا من رواياتهم ترسيخ عقائد الشيعة في القلوب بل قصدوا منها الاساءة الى الاسلام وكل ما يتصل بالاسلام. وعندما نمعن النظر في الروايات التي رووها عن ائمة الشيعة وفي الابحاث التي نشروها في الخلافة وفي تجريحهم لكل صحابة الرسول (ص) ونسفهم لعصر الرسالة والمجتمع الاسلامي الذي كان يعيش في ظل

النبوة لكي يثبتوا احقية علي واهل بيته بالخلافة ويثبتوا علو شأنهم وعظيم مقامهم نرى ان هؤلاء الرواة ــ سامحهم الله ــ اساءوا للامام علي واهل بيته بصورة هي اشد وانكى مما قالوه ورووه في الخلفاء والصحابة. وهكذا تشويه كل شيْ يتصل بالرسول الكريم (ص) وبعصره مبتدئاً باهل بيته ومنتهياً بالصحابة. وهنا تأخذني القشعريرة وتمتلكني الحيرة واتساءل: أليس هؤلاء الرواة من الشيعة ومحدثيها قد اخذوا على عاتقهم هدم الاسلام تحت غطاء حبهم لأهل البيت ؟

ماذا تعني هذه الروايات التي نسبها هؤلاء الى أئمة الشيعة وهم صناديد الاسلام وفقهاء اهل البيت ؟
وماذا تعني هذه الروايات التي نسبوها الى ائمة الشيعة وهي تتناقض مع سيرة الامام علي واولاده الائمة وكثير منها يتناقض مع العقل المدرك والفطرة السليمة ؟
وانني لا اشك ان بعضاً من رواة الشيعة ومحدثيها ومن ورائهم بعض فقهاء الشيعة قد امعنوا في هذا التطاول على أئمة الشيعة وفي وضع روايات عنهم عندما اعلن رسميا بحدوث الغيبة الكبرى. ونقل عن الامام المهدي قوله :

« من ادّعى رؤيتي بعد اليوم فكذبوه.»(١)

وهكذا سدت الابواب كلها للاتصال بالامام وللسؤال عن صحة الروايات التي نسبت اليه والى اجداده الائمة الطاهرين. وهكذا خلا الجو للمتربصين بالتشيع والاسلام معاً فصفّروا ونقّروا وكتبت اقلامهم ما شاءت وما ارتأت.

ولكي اكون واضحا اود ان اضع النقاط على الحروف وابدأ بالخلافة لكي نرى أن ما رووه في حق الخلفاء وصحابة الرسول (ص) يصطدم اصطداما كبيرا بسيرة الامام علي واهل بيته. ونرى بعد ذلك كيف ان هؤلاء الرواة وبعض علماء الشيعة لتعزيز ارائهم ولتفنيد مواقف الامام الصريحة واهل بيته التي تفند ما نسبوه اليهم ناقضوا مواقف الامام علي والائمة من بعده بصورة ملتوية ظاهرها مليح وباطنها قبيح لكي يثبتوا ارائهم حسب اهوائهم.

١ــ سيرة الائمة الاثنى عشر ج ٣، ص ٥٧٠، هاشم الحسين

موقف الامام علي من الخلافة

قلنا قبل قليل أن التشيع كان يعني حب الامام علي وأهل بيتة وإعطاءه حق الأولوية في الخلافة واعطاء اولاده مثل هذا الحق من بعده ولا اعتقد أن هناك احد لا يعرف الأسباب الدافعة الى هذا الاعتقاد فالامام علي ترعرع ونشأ في بيت الرسول الكريم (ص) وهو يحدثنا عن تلك النشأة بقوله :

« وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة. وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ويكنفني الى فراشه ويمُسني جسده ويشُمني عرفه وكان يمضغ الشي ثُم يلقُمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل.»(١)

ويستمر الامام في بيان منزلته عند رسول الله (ص) ويقول :

« ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما. ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنة ؟فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير.»

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يقول:

« ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وان رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي فامررتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة اعواني. فضجت الدار

١ـ نهج البلاغة ج ٢، ص ١٥٧

والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هيمنة فهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه. فمن ذا احق به مني حيا وميتا، فانفذوا على بصائركم.» (١)

وهذا هو الامام علياً يصف نفسه وموقعه من رسول الله (ص) مرة اخرى في كتاب بعثه الى واليه في البصرة عثمان بن حنيف جاء فيه :

« وانا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.»

وبعد كل هذا فالامام هو زوج الزهراء وابا الحسنين وبطل المسلمين ومن اعظم بناة الاسلام ودافع عن الرسول الكريم ورسالته بقلبه ولسانه ودمه وعرقه وهو بعد غلام لم يبلغ الحلم وقد شاء الله انه تكون شهادته حيث كان مولده فقد ولد علي في بيت الله واستشهد في بيت الله.

وقد تكتمل الصورة المشرقة لعلي وجهاده وموقعه من قلب الاسلام عندما نعلم علم اليقين وحسب الاحاديث المتواترة الصحيحة التي رواها رواة الشيعة والسنة على السواء في حب الرسول الكريم (ص) لعلي وتقديره اياه، فالنبي زوجه فاطمة الزهراء بامر من السماء ورفض اولئك الذين تقدموا لخطبتها بقوله:

« انما انتظر بها القضاء.»

وعندما نزل القضاء تم ذلك الزواج الميمون بين علي وفاطمة.

وفي غزوة الخندق يصف النبي الكريم علياً بجملتين تضاهيان كل الاحاديث التي رويت عنه في فضائل علي، حقاً ان كل حرف من تلك الكلمات الخالدات المشرقات يعتبر وساماً نبوياً ينصبه محمد (ص) على صدر علي بن ابي طالب انه وسام اعطى الجهاد والاخلاص والتفاني والايمان بالله موقعه السرمدي في حياة الدهر وتخليد العظماء. والجملتان صدرتا عن الرسول في خلال ساعة او اكثر منها بقليل، وذلك عندما ذهب علي ليلتقي بعدو الاسلام وبطل المشركين عمرو بن عبدود والذي كان يبارز لوحده جماعات ورجالا قال (ص):

« اللهم برز الاسلام كله الى الشرك كله.»

١ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ١٧٢

وعندما وقع عمرو صريعا بسيف علي قال (ص) :

« ضربة علي يوم الخندق افضل من عبادة
الثقلين.» (١)

ان المتتبع لحياة الرسول الكريم والامام يصل الى نتيجة اكيدة وهي أن الوشائج التي كانت تربط محمداً (ص) بعلي كانت اقوى بكثير من وشائج القربى انها صلات روحية مترابطة متماسكة اصلها في السماء وفرعها في قلبي الرسول (ص) وابن عمه ولذلك لا نستغرب ابداً عندما نلمس في علي نفحات من نفحات النبي فهذا هو رسول الله (ص) يدافع عن رسالته بكلمته الخالدة التي قالها للمشركين:

« والله لو وضعتم الشمس عن يميني والقمر عن
يساري لاترك هذا الامر ما فعلت.»

وهذا هو علي يدافع عن ايمانه بالله ويقول:

« فوالله لو اعطيت الاقاليم السبعة وما تحت
افلاكها ان اعصى الله في نملة اسلبها جلب
شعيرة ما فعلت.»

وبعد كل ما ذكرناه ورويناه فقد يكون من الطبيعي ان يرى علي نفسه اولى بخلافة محمد (ص) من غيره. ومن الطبيعي ايضا ان تعتقد فئة من الناس بذلك وتتحمس لها اشد التحمس، وتجد الفكرة لها مؤيدين وانصارا.كما ان من الطبيعي ايضا ان نقرأ في قلب محمد (ص) ولسانه ما يدل على استخلاف علي بعد وفاته.

الامام علي يؤكد شرعية بيعة الخلفاء

ولكن هل يعني كل هذا وهذا هو بيت القصيد وحجر الاساس في كل ما يتعلق بالامامة وشؤونها المتفرعة منها ان هناك نصاً إلهياً بتعيين علي لخلافة الرسول (ص) ام انها رغبة شخصية من رغبات رسول الله الخاصة ؟ الامام علي كان يقول لا نص عليه من السماء وصحابة علي والذين عاصروه كانوا يعتقدون بذلك ايضا وقد استمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى وهو العصر الذي حدث فيه التغيير في عقائد الشيعة وقلبها رأساً على عقب.

١ـ اخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ، ص ٣٢ « لمبارزة علي لعمرو افضل من اعمال امتي الي يوم القيامة.»

ومرة اخرى نقول ان هناك فرقاً كبيراً بين ان يعتقد الامام علي والذين كانوا معه انه اولى بخلافة الرسول الكريم (ص) من غيره ولكن المسلمين اختاروا غيره وبين ان يعتقد ان الخلافة حقه الالهي ولكنها اغتصبت منه. والآن فلنستمع الى الامام علي وهو يحدثنا عن هذا الامر بكل وضوح وصراحة ويؤكد شرعية انتخاب الخلفاء وعدم وجود نص سماوي في امر الخلافة.

« انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد.

وانما الشورى للمهاجرين والانصار. فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى. فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه. فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين.» (١)

وقبل أن أتحدث عن موقف الامام علي بالنسبة للخلفاء الذين سبقوه وقبل أن نسهب في هذا الامر ونستشهد باقوال اخرى للامام حيث ان لهذا الموقف اهميته القصوى في كشف الحقيقة وانارة الواقع لا بد من التفصيل حول رغبات النبي الشخصية وذلك الجانب السماوي الذي كان يصدع به بامر من الله وبوحي منه.

الفصل بين الاوامر الالهية ورغبات النبي الشخصية

ان فصل هذين الجانبين في الشخصية المحمدية (ص) يساهم مساهمة كبيرة في اعطاء صورة واضحة عن الجانب الالهي والشخصي في رسول الله (ص). واذا علمنا ان النبي الكريم كان يحاول جاهدا للتفريق بين الجانب الالهي في اقواله وما يصدر عنه من اقوال واعمال لا صلة لها بالسماء لعرفنا عظمة النبي وعظمة نفسه الكريمة. فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن النبي (ص) بهذه الايات البينات :

« وما ينطق عن الهوى. ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى.» النجم ٣،٤،٥

١ـ نهج البلاغة ج ٣، ص ٧

لا شك انه يقصد بذلك انه (ص) عندما يقرأ القرآن ويبلغ المسلمين بالايات الالهية وبالاحكام المنزلة عليهم انما ينطق بالوحي وبكلام الله المنزل على قلبه. وهذا هو شرط الايمان بالاسلام وبرسالة محمد (ص) وبالقرآن المنزل عليه.

ولكن القرآن الكريم حتى يبين الفرق الاساسي بين ما هو رغبة من رغبات النبي الخاصة وما هو امر الهي قد حسم الموقف بصورة واضحة وصريحة في ايات العتاب وفي ايات النهي عن امور كان النبي (ص) يرغب الاتيان بها ولنقرأ معاً هذه الايات البينات :

١ــ « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس.» المائدة ٦٧

٢ــ « واذكر ربك اذا نسيت.» الكهف ٢٤

٣ــ « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى.» الأعلى ٦،٧

٤ــ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر.» آل عمران ١٧٦

٥ــ « ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين.» الحجر ٨٨

٦ــ « وما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض.» الانفال ٦٧

٧ــ « عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين.» التوبة ٤٣

٨ــ « وما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم.»التوبة ١١٣

٩ــ « واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه.» الاحزاب ٣٧

١٠ــ « يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي

مرضاة ازواجك والله غفور رحيم.» التحريم ١

١١ـ « عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك
لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من
استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى
وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه
تلهى كلا انها تذكرة.» عبس ١ ــ ١٢

١٢ـ « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد.»الكهف ١١٠

١٣ـ « انك ميت وانهم ميتون.» الزمر ٣٠

ان من يتدبر في هذه الايات البينات سيعلم علم اليقين ان القرآن الكريم يؤكد تأكيدا قاطعا على ان رسول الله (ص) لم يكن ملكا ولا عنصرا سماويا ولا موجودا خارج نطاق هذا الكون وطبائعه انما هو بشر مثل سائر البشر كان ياكل وينام ويصح ويمرض ويحب ويكره ويتزوج وينجب الاطفال حسب الناموس الطبيعي للكون فيسري عليه من التفاعل الطبيعي كل ما هو يسري على سائر افراد البشر. ومن الواضح جدا ان التأكيد على هذا الجانب في رسول الله (ص) انما كان ليثبت للناس ان كل ما يصدر من النبي لا يعني انه وحي او كلام الهي او امر سماوي. اما الناحية الالهية في وجود النبي وهي الاتصال بالمبدأ الاعلى فكان يؤكدها شخص النبي (ص) عندما كان ينزل عليه الوحي ويطلب من كتبة الوحي ان يدونوا قول الله تعالى. ويبدو واضحا للمتتبع لاخلاق الرسول الكريم (ص) كما قلنا قبل قليل انه كان يسعى جاهدا لتأكيد الفصل بين الجانب السماوي والارضي في شخصه وهذه كانت من اكبر السمات الدالة على قوة النبي النفسية وصدقه في الرسالة واخلاصه لربه وعظمة شخصيته وهي خصال لا تضاهيها خصال اي رسول من رسل السماء واي عظيم من عظماء الارض. فهذا الدور البارز العظيم الذي كان يؤديه ليظهر بالمظهر الذي خصه به ربه وبالصفات التي وصفه بها الهه (فهو بشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق)ولكنه بشير ونذير ارسله الله للعالمين. فعندما كانت تنزل عليه ايات العتاب كان يقرأها على الناس من موقع الامين القوي وعندما كانت تنزل عليه ايات الثناء كان يقرأها من موقع العبد المطيع، فلم ير النبي في نفسه انتقاصا عندما تلى على المسلمين ايات العتاب التي نزلت عليه كما لم يظهر عليه الخيلاء والتكبر عندما تلى ايات الثناء التي انزلها الله على قلبه.

وهكذا كانت ايات العتاب والتحذير تعطي للرسول (ص) قوة لا تقل عن قوة ايات المدح والثناء فلا غرو انه (ص) تلقى من ربه كلمات لم تنزل قط على من سبقوه من اولي العزم من الرسل.

« وانك لعلى خلق عظيم.» القلم ٤

ولم يقتصر دور الرسول البارز في فصل موقعه السماوي من البشري الى هذا الحد فحسب بل تجاوزه الى ابعد ما يمكن للمرء ان يتصوره، فعندما هابه رجل من الاعراب التقى به قال له (ص) :

« هون عليك انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد.»

وهذه العظمة الروحية في نكران الذات تتجاوز افاق الارض والسماء وتتجلى في اعظم مظاهرها عندماكسفت الشمس في يوم وفاة ابنه ابراهيم فقال الناس :

« انكسفت الشمس لوفاة ابن رسول الله (ص).»

وسمع الرسول (ص) ما قاله القوم فصعد المنبر وخاطب المسلمين بقوله :

« ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا تنكسفان لموت احد وانما مات ابراهيم بقضاء وقدر من الله.»

وهكذا كان النبي (ص) يدفع عن نفسه مظاهر القدسية وهالاتها ليثبت عبوديته لله وانه بشر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضررا.

« قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرا.» يونس ٤٩

ويزيد النبي في العبودية والعبادة حتى انزل الله عليه قوله :

« طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى.» طه ١ــ٢

الحرية الفكرية والاجتماعية في عهد الرسول (ص)

لكن الوجه الآخر المكمل لهذه السيرة النبوية يتجلى في شيء اخر هو الحرية الفكرية والاجتماعية التي منحها الرسول الكريم لاصحابه وللمسلمين. حقاً ان المرء ليطأطئ رأسه خضوعاً وخشوعاً لعظمة رسول الله (ص) عندما يتابع عصر الرسالة وما فيها من الحريات الفكرية والاجتماعية التي منحها الرسول (ص) لاصحابه وللمسلمين وهذا هو الجانب المكمل للطريقة التي كان يتبعها الرسول الكريم للفصل بين شخصيته كرسول الله وكمحمد بن عبد الله. ولو ان المتتبعين والمحققين للتاريخ درسوا هذه الناحية في عصر الرسالة وهذا الجانب من سياسة النبي الاجتماعية لسهل عليهم فهم كثير من الغوامض التاريخية المتعلقة بعصر الرسول (ص) وبعد وفاته، ولحلت كثيراً

من الخلافات الفكرية والمذهبية بين المسلمين التي انتهت الى اراقة الدماء تارة والي الشتم والتنابز بالالقاب تارة اخرى.

لقد منح الرسول (ص) صحابته والمسلمين من الحرية الفكرية والاجتماعية والمساواة منذ ابان دعوته وعند انتشارها وحتى اخر يوم من حياته ما لم نجده في اي عصر آخر ولدى اية امة اخرى ولم نجده حتى في عصرنا هذا لدى ارقى الامم ديموقراطية وحرية. ولا اعتقد انه يوجد في تاريخ الديموقراطية والمساواة قديما وحديثا ان سيد قوم ومؤسس امة وقائد فكر يجلس مع صحابته في صورة دائرية لكي لا يكون لمجلسه الصدر والذيل ويكون كل فرد في ذلك المجلس مساوياً مع رسول الله (ص) في جلسته حتى ان الاعرابي عندما كان يدخل إلى مجلس الرسول فلا يميزه بين الصحابة كان يسأل : من هو محمد ؟
فكان الصحابة يشيرون اليه (ص)

ويكفي لذلك العصر فخرا وجلالا ان بروتوكولات الديموقراطية في عصر الفضاء قلدت فكرة المائدة المستديرة لاجتماع الملوك والرؤساء من مجلس الرسول العربي.

والنبي اذا صافح رجلا كان يمسك بيد الرجل حتى يرسلها صاحبها احتراما منه لذلك الرجل. وكان (ص) كما وصفه علي بن ابي طالب يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه. ولعل هذه الديموقراطية والحرية تجلت في اكبر صورها عندما كان الكثير من الناس يستغلونها ويخرجون عن حدود الادب وطوره بالنسبة للقائد الالهي. وكان الرسول (ص) يحتمل ذلك بصبر واناة وابتسامة حتى ان نزل امر الله على المسلمين معاتباً اياهم في ذلك. ولكن حتى الآيات الالهيه لم تنه نهياً قاطعاً من كيفية تعامل الناس مع الرسول (ص) بل القى الملامة عليهم ووصفهم بالجهل، او وضعت ضريبة غير ملزمة لاولئك الذين يخرجون عن الاحترام اللائق بالنسبة لرسول الله (ص) ولكن الله لم يحرم شيئاً من ذلك ولنقرأ معاً هذه الايات البينات :

١ــ « يا ايهأ الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض، ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون. ان
الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى. لهم مغفرة وأجر
عظيم. ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون. ولو انهم صبروا حتى تخرج
اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم.»
الحجرات ٢ ـ ٥

٢ـ « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان
لم تجدوا فان الله غفور رحيم.» المجادلة ١٢

واعتقد ان من الضرورة بمكان ان اثبت في هذا الفصل حادثة اخرى وقعت في حياة النبي الكريم وكانت لها صلة مباشرة بزوجته السيدة عائشة ام المؤمنين الا وهي قصة الافك.

ان المتتبع لقصة الافك يتضح امامه صورة كاملة للحرية التامة التي كان المسلمون يتمتعون بها في الفكر والتعبير والكلام، فكل من يقرأ تاريخ تلك الحقبة يعلم علم اليقين ان اشاعة الافك عندما انتشرت في المدينة واصبحت حديث الناس في مجالسهم ونواديهم وكانت تلك الاخبار المحزنة تصل الى سمع رسول الله لم يصدر منه (ص) ما يوحي بالغضب على صحابته او اهل المدينة. ولاشك ان الرسول (ص) كان يعلم زيف التهمة الموجهة الى ام المؤمنين وهي اعز ازواجه بعد السيدة خديجة الكبرى، وابنة صاحبه في الغار ومن اقرب الصحابة اليه. ولكنه اراد ان لا يستعمل صلاحية القائد او يحد من صلاحية الامة في التعبير عن الكلام. فالتاريخ لا يشير قط الى ان الرسول (ص) طلب من أصحابه أن يكفوا عن حديث الأفك او انه اعترض عليهم في القول او صدر منه ما يشعر المسلمين بانه غاضب عليهم لما يقال في همس وعلن في ام المؤمنين، او انه اجرى تحقيقاً مع المشتبه بامرهم في اشاعة الافك وكان للنبي في المدينة اعداء الداء تتجسد في الجالية اليهودية ومن المنافقين والمتربصين به وبكل ما يحيط به. فلم يتخذ النبي وجود الاعداء بين ظهور المسلمين ذريعة ليطلب من اهل المدينة الكف عن حديث الافك حتى يهونوا عليه ولا يثخنوا في الجراح بل بالعكس من كل هذا عالج الافك بالصبر حتى انه (ص) شاور علي ابن ابي طالب وزيد بن حارثة وبعض الصحابة في الطريقة التي ينبغي عليه ان يعالج ذلك الامر ولكن ليس مع الافاكين بل مع ام المؤمنين.

ومع ان الوطأة كانت شديدة على السيدة عائشة وعلى ابيها واسرتها، فهزلت ومرضت ولزمت الفراش، وكان هذا اللغط الاجتماعي الغريب يعصر قلبها كلما تصورت ما يقول عنها الآفكون الا ان كل ذلك لم يغير من سياسة النبي العظيم في الحد من اطلاق الحريات الاجتماعية او حمل الناس على السكوت وعدم الخوض في ما يدور في مجالس المدينة ونواديها. وهنا ظهرت المشيئة الالهية وارادته البالغة فوضعت حدا سماوياً للاحاديث الجارحة والاتهامات الباطلة التي ينسبها البعض الى البعض بلا دليل او شاهد او بينة فانزل الله على قلب رسوله (ص) :

« ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امريء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم .» النور ١٠

وهكذا برأ الرحمن ساحة السيدة عائشة ووضع سبحانه وتعالى حداً للحريات الكلامية الجارحة التي فيها اساءة للناس وحط من كرامتهم.

وهنا نريد ان نستنتج شيئاً اهم من هذه الحادثة وهو ان المجتمع الذي يصل فيه التعبير عن الرأي وحرية الكلام سواء اكان ذلك صحيحا او سقيما الى هذه المرحلة بحيث لا يرعى فيه حرمة رسول الله (ص) الذي انقذهم من الضلال والهلاك وهداهم الى خير الدنيا والآخرة وخير البركات حتى ان نزلت ايات التأديب بحق الناس في ذلك المجتمع.

هل يمكن للنبي (ص) ان يحمل مجتمعا مثل هذا على امر وهو مكره عليه الا اذا كان ذلك الامر من الله وبنص من كتابه، فحينئذ كانت الحريات الفكرية والاجتماعية كلها تتبخر امام الاوامر الالهية ويصبح الفرد والمجتمع امام اوامر الله ونواهيه عبادا مطيعين منقادين لا يسعهم الا الامتثال لامره والعزوف عن نواهيه.

لقد كان باستطاعة النبي الكريم ان يخلق مجتمعا من المسلمين يطيع ارادته الشخصية لا يحيد عنها اذا امرهم بها، ولكن مثل هذا الامر كان مناقضاً للرسالة التي جاء لاجلها الا وهي الغاء كل العبوديات والتقاليد المتعلقة بها ما عدا عبادة الله الواحد الاحد. وكما نعلم فان الاسلام قد جاء ومحمداً قد بعث للقضاء على كل الرواسب والافكار الجاهلية التي كانت اهم مظاهرها عبادة الفرد للفرد واطاعة الفرد للفرد، وهكذا اخرج الاسلام الناس من ظلمات العبودية

الفكرية والجسدية الى حيث النور والحرية، ولذلك كان المجتمع الاسلامي الفتي يرى في الدين الجديد كل مقومات الحياة وكرامة الفرد والانسان. انها الرسالة السماوية التي جعلت من ذلك المجتمع الطبقي المؤلف من السادة والعبيد مجتمعا موحدا يتألف من اناس كلهم سواسية امام الله لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى.

« ان أكرمكم عند الله اتقاكم.» الحجرات ١٣

وكان من نتائج الخروج من عبودية الاصنام والالهة المتفرقة والتخلص من سادة قريش والدخول في عبادة الله الواحد الاحد تلك الحرية التي انعمها الله على المسلمين والتي بفضلها بدأ المجتمع الاسلامي الجديد ينعم بحرية الرأي والتعبير والفكر ما دام لم يكن في تلك الحرية غضب الله وسخطه. وعندما اراد المجتمع الاسلامي ذلك ان يتجاوز القيود المفروضة عليه في التعبير عن الرأي لم يمنعهم الرسول (ص) من ذلك حتى لا يعيد الى اذهانهم دور الاطاعة لسادة القوم وكبراءه بل انتظر في ذلك امر السماء ونزول الوحي، وجاء الامر الالهي يقيد المسلمين بالالتزام بالاخلاق الفاضلة وبعدم اشاعة الفحشاء في الذين آمنوا :

« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين
« آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا ولآخرة.» النور ١٨

كما امرهم بالالتزام بحرمة المسلمين وعدم الاساءة اليهم بالكلام الجارح والسب المقذع :

« يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى
ان يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا انفسكم ولا
تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان،
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون. يا ايها الذين
آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم،
ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا، ايحب
احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا
الله ان الله تواب رحيم. » الحجرات ١١ـ١٢

وهكذا تظهر عظمة رسول الله (ص) بكل قداستها وجلالها حيث لا يريد لامته ومجتمعه الا ما يريده الله لهم.

وهنا اعود لموضوع الخلافة واقول، اذا كان النبي (ص) لم يدافع عن زوجته في اخطر اتهام وجهته اليها عصبة جاءت بالافك وهو يعلم انها بريئة منه كل البراءة حتى لا يعيد الناس الى دور الجاهلية واطاعة السادة والكبراء بدون ضابط ومبرر، فلم يكن من المعقول ان يرغم امته على قبول خليفة هو يرتضيه لهم اذا لم يكن في ذلك امر الهي.واذا كان الرسول (ص) يرغب رغبة شخصية ان يكون علياً خليفة من بعده كما تدل على ذلك الاحاديث التي رواها الفريقان باسانيدهما الصحيحة لكنه لم يرغم امته على قبول ذلك الخليفة بنفس الطريقة التي لم يرغم الناس فيها على ان يكفوا عن حديث الافك في اعز ازواجه ولم يرغمهم في الكف عن معاملته بصورة لا تليق برسول الله (ص) عندما كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته او يتناجون بين يديه حتى ان نزلت الآيات الكريمات التي امرت الناس بالتأدب والاحترام للنبي الذي اطلق للناس حرية استغلها البعض استغلالا غير حسن وكريم.

ومرة اخرى نلقي نظرة فاحصة على عهد الرسول الكريم والحرية التي كان المجتمع الاسلامي الفتي ينعم بها الى درجة تجاوزت الحدود ووصلت الى مرحلة خطيرة اغضبت رسول الله (ص)لانها كانت خروجا على التقاليد المرعية والمتبعة في اطاعة القائد الاعلى اثناء القتال فقد اجمع ارباب السير ان رسول الله (ص) لما مرض مرض الموت دعا اسامة بن زيد بن حارثة فقال له :

« سر الى مقتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش، وان ظفرك الله بالعدو فاقلل اللبث وبث العيون وقدم الطلائع.»

فلم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار الا كان في ذلك الجيش، منهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقال :

« يستعمل هذا الغلام على جلة من المهاجرين والانصار. »

فغضب رسول الله (ص) لما سمع ذلك وخرج عاصبا رأسه فصعد المنبر وعليه قطيفة فقال :

« يا ايها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير اسامة، لئن طعنتم في تأمير اسامة فقد طعنتم في تأميري اباه من قبل. وايم الله انه كان خليقا بالامارة وابنه من بعده لخليق بها، وانهما

لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من
خياركم. »

وهكذا نرى بوضوح ان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله كان اكبر من ان يأمر بمعاقبة قوم طعنوا في القيادة التي اختارها لجيشه وتجاوزوا على صلاحيات القائد الاعلى الذي هو في الوقت نفسه رسول الله (ص) ومؤسس امة وباني مجد وقائد عسكري عظيم حيث يصفه الامام علي بقوله :

« كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن
منا اقرب الى العدو منه.»

مثل هذا الرسول العظيم وامام هذه البادرة الخطيرة لم يزجر ولم يهدد ولم يتهم بالفسق او الخروج عن الاسلام احدا من الذين طعنوا في امارة اسامة وكل ما قاله في اخر عتابه :

« واستوصوا به خيراً فانه من خياركم.»

كل هذا حتى يثبت للمسلمين ان اختياره لاسامة لم يكن بأمر من الله ولا علاقة لهذا الاختيار بالسماء والوحي بل انه اختيار شخصي ينبع من كفاءة اسامة وحبه له لقيادة جيش المسلمين، وان غضبه صلى الله عليه وآله للمقالة التي قالوها لا يحملهم مسؤلية اخروية او عذابا الهيا، ولذلك ختم كلامه صلى الله عليه وآله معددا الاسباب التي كانت وراء اختياره للقائد الشاب وطلب من المسلمين ان يسيروا وراءه.

وننذكر هنا رواية رواها ابن عباس عن الخليفة عمر صريحة كل الصراحة في موقف الصحابة نحو الرغبات الشخصية لرسول الله (ص) والاوامر الالهية التي كان يصدع بها، فقد روى ابن عباس قال :

« خرجت مع عمر الى الشام في احدى خرجاته
فانفرد يوما يسير على بعير فاتبعته.»

فقال :

« يا ابن عباس اشكو اليك ابن عمك سألته ان
يخرج معي فلم يقبل ولم ازل اراه واجدا، فيم
تظن موجدته ؟»

فقلت :

« يا امير المؤمنين انك لتعلم.»

قال :

« اظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة.»

قلت:

« هو ذاك انه يزعم ان رسول الله اراد الامر له.»

فقال :

يا ابن عباس واراد رسول الله (ص) الامر له فكان ماذا اذا لم يرد الله تعالى ذلك. ان رسول الله اراد ذلك واراد الله غيره فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مراد رسول الله. أوكلُّ ما أراد رسول الله كان ؟ انه اراد اسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم.»(١)

وبعد كل ما اثبتناه فان وجود نص الهي في موضوع الخلافة يصطدم بخمس عقبات رئيسية كل واحدة منها تكفي لهدم الفكرة من اساسها وهذه العقبات الخمسة هي :

أ ـ صحابة الرسول (ص) وموقفهم من الخلافة.

ب ـ اقوال الامام في الخلافة.

ج ـ بيعة الامام مع الخلفاء واعطاء الشرعية لخلافة الخلفاء الراشدين.

د ـ اقوال الامام في الخلفاء الراشدين.

هـ ـ اقوال ائمة الشيعة في الخلفاء الراشدين

أ ـ صحابة الرسول (ص) وموقفهم من الخلافة

لقد اعطينا صورة واضحة المعالم عن عصر الرسالة في الصفحات السابقة وبينا مدى الحرية الفكرية والاجتماعية التي كانت تحكم انذاك المجتمع الاسلامي الفتي واستشهدنا بالآيات الكريمات التي وردت في تقييد تلك الحريات الكلامية والاجتماعية التي كانت فيها ايذاء للنبي وتجريح للمسلمين. ويجب علينا ايضا ان نذكر بوضوح وصراحة ان الصورة التي رسمناها لذلك المجتمع الاسلامي الفتي انما كانت صورة عامة لكل الطبقات التي اجتمعت في المدينة وحواليها وحول الرسول (ص) بما فيهم المنافقين والمؤلفة قلوبهم وغيرهم من ضعفاء الايمان الذين يخاطبهم الله بقوله :

«قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا. ان الله

١ـ شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد ج ٣، ص ١١٤.

غفور رحيم انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون. قل اتعلمون
الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات والارض
والله بكل شيء عليم. يمنون عليك ان اسلموا قل لا
تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين.» الحجرات ١٤ ــ ١٧

ان من يتدبر في هذه الآيات الكريمات يعلم علم اليقين انه في ضمن الأكثرية التي اشرنا اليها كانت توجد تلك الصفوة المختارة من صحابة رسول الله التي مشت تحت راية الرسول (ص) ودافعت عن الاسلام بدمها ومالها واشتركت معه (ص) في بناء مجد الاسلام والدفاع عن الاخطار التي احدقت به. انهم كبار الصحابة من المهاجرين والانصار الذين كانوا مع النبي في السراء والضراء يلازمونه ملازمة الظل لصاحبه حتى يكون لهم اسوة في حياتهم ويحمونه من الاعداء والمتربصين بالاسلام. وهناك صورة مشرقة نيرة لهذه الصفوة المختارة من امة محمد (ص) في القرآن الكريم تعني كل كلمة منها صفاء ذلك العصر وعظمته وجلالته وروعته واخلاص الصحابة وتفانيهم في الاسلام وفي الدفاع عن الرسول (ص) ولنقرأ معا هذه الآية الكريمة :

« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من
الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من اثر
السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في
الانجيل كزرع اخرج شطئه فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم
الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجراً عظيما.» الفتح ٢٩

وهناك وصف آخر لهذا العصر المشرق ولصحابة رسول الله (ص) يذكرها الامام علي ونثبته هنا :

« لقد رأيت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما
ارى احدا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً
وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم

وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين اعينهم ركب المعزي من طول سجودهم، اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء العقاب.» (١)

ولنستمع الى الامام وهو يصف مرة اخرى صحابة رسول الله (ص) ومدى ايمانهم المطلق واللامحدود بنبيهم وبرسالته :

« ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل ابائنا وابنائنا واخواننا واعمامنا وما يزيدنا ذلك الا ايماناً وتسليما. ومضيا على اللقم. وصبراً على مضض الالم. وجداً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين. يتخالسان انفسهما ايهما يسقي صاحبه كأس المنون. فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه ومتبوئاً اوطانه. ولعمري لو كنا نأتي ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود. وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها ندما.» (٢)

وهنا لا بد من هذا السؤال، هل ان مثل هذه الصحابة التي اثنى عليهم الله هذا الثناء العظيم ومدحهم الامام عليا بهذا الوصف الكبير، خالفوا النص الالهي في امر ورد فيه تشريع من الله وهم حماة التشريعات الالهية ومنفذيها، وقد ضحوا بالغالي والرخيص لاجلها ولا سيما لو كان لذلك التشريع صلة مباشرة بمصالح المسلمين ومستقبل امرهم وارساء القواعد التي بعث رسول الله(ص) لارسائها؟

وبعد كل هذا و نحن نؤدي رسالة التصحيح في هذا الكتاب بعيدة عن الاهواء والعصبيات وتقاليد الاباء والامهات، انها رسالة موجهة الى الطبقة المثقفة واصحاب الافكار الحرة من ابناء الشيعة الذين عليهم عقدت الامال في

١ــ نهج البلاغة ج ١، ص١٩

٢ــ نهج البلاغة ج١،ص ١٠٤

السير وراء التصحيح، ولذلك ارى ان اعرج على البند الثاني وهو قول الامام علي في الخلافة لنرى بوضوح كيف ان الامام كان يقول بصراحة انه لا نص هناك من الله في الخلافة.

ب ــ اقوال الامام علي في الخلافة

يقول الامام عليا :

« دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون امرأ له وجوه والوان، واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتموني فانا كأحدكم ولعَلّي اسمعكم واطيعكم لمن وليتموه امركم، وانا لكم وزيراً خير لكم مني اميرا.»(١)

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يخاطب اهل الشورى قبل بيعة عثمان :

« ولقد علمتم اني احق الناس بها من غيري والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جور الا علي خاصة، التماساً لاجر ذلك وفضله. »(٢)

وهذا هو الامام يجيب بعض اصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به ؟

« وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسباً والاشدون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطا، فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس وسخت عنها نفوس قوم اخرين والحكم لله والمعود اليه القيامه. »(٣)

ولنقرأ معاً نصوصاً اخرى للامام فيها وضوح وصراحة في رغبته عن الخلافة وانه كان يدفعها عن نفسه دفعاً ولكنه كان يعتقد بانه احق من غيره بها، ولم يذكر الامام ان هناك نصاً من الله وتشريعاً الهي ورد في الخلافة، يقول الامام :

« والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في

١ــ نهج البلاغة ج ١، ص ١٨٢

٢ــ نهج البلاغة ج ١، ص ١٢٦

٣ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٦٤

الولاية اربة، ولكنكم دعوتموني اليها وحملتموني
عليها، فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما
وضع لنا وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن
النبي صلى الله عليه وآله فاقتديته. »(١)

ويقول في مكان آخر:

«فأقبلتم الي اقبال العود المطافيل على اولادها
تقولون البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها
ونازعتكم يدي فجاذبتموها. »(٢)

ويتحدث الامام مرة اخرى في كتاب بعثه الى مالك الاشتر جاء فيه :

« فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي
ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه
وآله عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده
فما راعني الا انثيال الناس على ابن ابي قحافة
يبايعونه فامسكت يدي. »(٣)

وبعد ان قرأنا هذه العبارات الواضحات فيإعتقاد الامام بأولويته في الخلافة بعد رسول الله (ص) لا بد وان نقرأ ايضاً ما قاله في شرعية الخلفاء الذين سبقوه حتى نعلم مدى ايمان الامام واعتقاده بصحة وشرعية بيعتهم.

يقول الامام :

« انها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا يستأذن
فيها الخيار، الخارج منها طاعن والمروي فيها
مداهن. »(٤)

ويقول في مكان اخر :

« الا وانكم قد نفضتم من جبل الطاعة وثلمتم
حصن الله المضروب عليكم بأضراب الجاهلية.
فان الله سبحانه وتعالى قد امتن على جماعة هذه
الامة فيما عقد بينهم من حبل الالفة التي ينتقلون
في ظلها ويأوون الى كنفها بنعمة لا يعرف احد

١ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ١٨٤
٢ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٠
٣ــ نهج البلاغة ج ٣، ص ١١٩
٤ــ نهج البلاغة ج٣، ص ٨

من المخلوقين لها قيمة، لانها ارجح من كل ثمن
واجل من كل خطر. واعلموا بأنكم صرتم بعد
الهجرة اعراباً وبعد الموالاة احزابا. ما تتعلقون من
الاسلام الا باسمه ولا تعرفون من الايمان الا
رسمه. »(١)

ولنستمع الى الامام مرة اخرى وهو يؤكد شرعية الخلافة والامامة بعد ان اجتمعت الامة عليها اجماعاً مصغراً حيث يجب على عامة المسلمين والاكثرية الغائبة اطاعة الخليفة المنتخب :

« ولعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى
يحضرها عامة الناس فما الى ذلك سبيل. ولكن
اهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد
ان يرجع ولا للغائب ان يختار. » (٢)

ج ــ بيعة الامام مع الخلفاء والتاكيد على شرعية الخلفاء الراشدين

لقد اسهبنا في ذكر النصوص الواردة من الامام علي حول الخلافة وعدم ذكر كلمة واحدة بوجود نص الهي فيها والآن لا بد ان نعرج على موضوع آخر وهو اذا كانت الخلافة بنص سماوي وكان هذا النص في علي، هل كان بامكان الامام ان يغض النظر عن هذا النص ويبايع الخلفاء ويرضخ لامر لم يكن من حقهم ؟

لقد علل علماء الشيعة في الكتب العديدة التي الفوها بيعة الامام علي مع الخلفاء بامرين : فهناك من ذهب الى ان الامام علياً بايع الخلفاء خشية منه على ضياع الاسلام وايجاد الفرقة التي كانت تؤدي الى هدم الاسلام، فلذلك ترك حقه ورضخ لخلافة خلفاء غصبوا حقه . والتعليل الثاني انه بايع الامام الخلفاء خشية منه على نفسه وعمل بالتقية التي سنطرق الى ذكرها في مواطن عديدة.

اما الذين عللوا بيعة الامام بالخوف على الاسلام من الضياع لان الناس كانوا على حديث عهد بالاسلام ولم يكن الاسلام بعد صلب العود فيدحضه

١ــ نهج البلاغة ج ٣، ص١٥٤

٢ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٨٦

بيعة علي مع عثمان التي كانت في عصر امتدت فيه الخلافة الاسلامية من الشرق حتى بخارى ومن الغرب حتى شمال افريقيا، وكانت الخلافة الاسلامية تحكم اكبر رقعة من الارض المسكونة في ذلك العصر.

وبعد فان اغرب الامور واعظمها خطراً في مبحث الخلافة والتي لم يتحدث عنها كل من اسهب فيها من رواة الشيعة وعلمائها ومن الفرق الاسلامية الاخرى هي انهم لم يبحثوا الخلافة الالهية بصورة مستقلة عن الامام علي ولا عن الخلفاء الذين سبقوه بل ربطوها ربطاً وثيقاً بالاشخاص والاسماء. ويدهشني ويحيرني حقاً هذا التحوير في الخلافة لانها اذا كانت تبحث بصورة مستقلة عن شخص علي لكانت تصطدم بعقبة كبيرة تنسف كل القواعد التي بنيت في عصر الصراع بين الشيعة والتشيع.

واذا كانت الخلافة تبحث حقاً في العقيدة الاسلامية بغض النظر عمن هو المراد بأن يتولاها لما واجه المسلمون ما واجهوه من الحيرة والضياع في شؤون الخلافة وما ترتبت عليها. وهذا هو بيت القصيد لما اريد ان اذهب اليه وهو ان الخلافة بعد الرسول(ص) وان شئت فقل الامامة اذا كانت بنص الهي وفيها امر من السماء سواء أكان علي هو المراد بتوليها او غير علي لكانت كل المبررات والاقاويل التي ذكرتها رواة الشيعة وعلماء المذهب الامامي (والتي تنصب كلها على ان الامام علي بايع الخلفاء الذين سبقوه للحفاظ على الاسلام من الضياع وخوفاً من ارتداد الناس بعد الرسول او للتقية) تذهب ادراج الرياح وتصبح هباءاً منبثا، لان الخلافة عندما تكون بنص الهي وبأمر من الله لا يستطيع احد مهما كان مقامه او منزلته في الاسلام ان يقف ضدها او يخالفها للمبررات التي يتصورها او يعتقد بها فلم يكن باستطاعة علي او غير علي من الصحابة ان يوقف نصاً الهياً صدر بالوحي.

فاذا كان محمد وهو رسول الله (ص) لا يستطيع ولا يحق له ان يتلكأ في اداء الرسالة الالهية او يخفيها كما صرحت بذلك الآية الكريمة :

« يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم
تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من
الناس.» المائدة ٦٧

فكيف يستطيع من هو دون مرتبة الرسول (ص) ان يغض النظر عن النص الالهي او يخفيه، وهل هناك امر الهي اكثر صراحة ووضوحاً لابلاغ الرسالة والوحي من الايات الكريمات التاليات:

« وان تكذبوا فقد كذبت امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين.» العنكبوت ١٨

« فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ.» الشورى ٤٨

« فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز، او جاء معه ملك، انما انت نذير والله على كل شيء وكيل.» هود ١٨

ان ربط الخلافة بالخليفة وعدم التفريق بينهما هو الذي مهد الطريق للرواة من الشيعة كما قلنا ان يدونوا ما شاؤوا في ابان عصر الصراع بين الشيعة والتشيع، فالامام لم يكن مشرعاً ولم يكن يدعي ذلك، ولا اجتهاد امام النص حتى ان يجتهد امام نص الخلافة ويسكت عنها كما انه لا يستطيع ان ينقضه لانه هو موضوع ذلك النص.

فالخلافة اذا كانت الهية وسماوية كانت حقاً عاماً للمسلمين ودستوراً سماوياً لهم بغض النظر عن الشخص الذي يتولاها.

ومع كل ما فصلناه في الخلافة وانها لو كانت بالنص الالهي لم يستطع احد مهما كان شأنه ان يعمل خلافها او يتجاهلها او ينكرها، الا اننا امام فئة كبيرة من علماء المذهب الشيعي وقد اغفلوا هذا الامر اغفالا، ولذلك ذهبوا الى تأويل بيعة الامام بالتقية او الخوف او انه ارغم على امر لا يعتقد به وخلاف ارادته.

وهنا يأتي دور اولئك الذين ارادوا تحطيم الامام علياً وشخصيته والطعن فيه بصورة غير مباشرة، وهكذا تحطيم كل ما يتعلق بعصر الرسالة وصحابة الرسول (ص) لان الطريق الوحيد في اظهار عصر الرسالة بما فيه كبار صحابة رسول الله بالمظهر القاتم هو اعطاء صورة عن خروج ذلك المجتمع الاسلامي عن اوامر الله الصريحة. وهذا الامر يتوقف على تصوير الخلافة في علي بنص الهي ومخالفة الصحابة كلهم لهذا النص مع علمهم بذلك وابلاغ الرسول (ص) اياهم ثم اعطاء صورة عن الامام علي وهو صاحب الحق في صورة رجل مخادع مداهن مجامل كان مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه طيلة خمسة وعشرين عاماً في ظاهر الامر كمستشار امين وكصديق حميم مطنباً في مدحهم وقائلا خير الكلام بحقهم ولكنه في واقع الامر غير معتقد بما يقول وغير مؤمن بما يفعل حتى انه زوج ابنته ام كلثوم لعمر ابن الخطاب وهو مرغم

عليه، وسمى اولاده أبا بكر وعمر وعثمان وهو غير راض عن تسميتهم، وهكذا دواليك.

هذه خلاصة ما كتبه بعض علماء الشيعة ورواه بعض رواة احاديث الشيعة ــ سامحهم الله ــ عن الامام علي نصاً وتلويحا. ولست ادري ماذا يكون موقف هؤلاء يوم القيامة اذا احتكم الامام ربه فيهم، كما اني اعتقد جازما ان بين هؤلاء الاكثرية توجد فئة غير قليلة ساهمت في تغيير مسار الفكر الاسلامي الموحد الى طريق الشقاق والنفاق ولضرب الاسلام والمسلمين بما فيهم علي وعمر، مع انهم في ظاهر الامر كانوا يظهرون بمظهر حماة المذهب الشيعي، الا ان الغرض كان هدم المذاهب كلها وان شئت فقل الطعن في الاسلام. فحتى في اوائل القرن الرابع الهجري وهو عصر الغيبة الكبرى لا نجد اي اثر لفكرة اغتصاب الخلافة من الامام علي او انها حق الهي اغتصب منه، او ان صحابة رسول الله (ص) اشتركوا وساهموا في ذلك الامر، وهكذا وكما قلنا تغيرت فكرة الاولوية بخلافة علي الى فكرة الخلافة الالهية ومخالفة النص الالهي.

ولا شك ان دخول الفلسفات اليونانية الى الفكر العربي والافكار الفلسفية الاخرى التي لعبت دوراً كبيراً في تأسيس المدرستين الاعتزالية والاشعرية كانت وراء الصراع بين الشيعة والتشيع واظهار الشيعة بالمظهر الذي نحن عليه الآن. ولاشك ايضاً ان عرض الخلافة بالصورة التي عرضها علماء المذهب مستندين على روايات رواة الشيعة كان سبباً لانعزال المذهب الشيعي عن سواه وابتعاده عن المذاهب الاخرى محتفظاً بحالة انعزالية وهجومية بعيدة عن كل الفة وانسجام مع الفرق الاسلامية الاخرى. وكان لا بد لابقاء المذهب محصوراً على الطائفة وعدم الانسجام بينها وبين الفرق الاخرى هو ايجاد حالة من التنافر تمنع كل تقارب وتقريب مع الآخرين ولذلك اخذت الشيعة تسلك طريق تجريح الخلفاء الراشدين وذمهم مستندة على الروايات التي وضعها الرواة على لسان ائمة الشيعة مخلفة وراءها من الخراب والدمار ما لا يحصيه الا الله.

ونحن هنا نتحدث مع الشيعة بالمنطق الشيعي البحت ولذلك نثبت اقوالا للامام علي في حق الخلفاء الراشدين ثم نستشهد بما يقول الامام عن نفسه ثم نسأل انفسنا، هل ان مثل هذا الامام بايع الخلفاء وهو مرغم عليه وغير راض

عنه او انه خادع المسلمين في عمله والخلفاء في بيعته، وهل انه قال كلاماً لا يعتقد فيه وعمل عملا لا يؤمن به ؟

احقاً ان الشيعة تحب علياً وهي التي نسبت اليه مثل هذه الامور او انها سلكت هذا الطريق الشائك حتى تثبت حقها في استلام السلطة وتأسيس الدولة ولو ادى ذلك الى التضحية بسمعة علي وجلالة قدره وعظمة نفسه وعلو مقامه ؟

د ـــ اقوال الامام علي في الخلفاء الراشدين

ولنستمع الى الامام علي وهو يتحدث عن الخليفة عمر ابن الخطاب:

« لله بلاء عمر فقد قوَّم الامد. وداوى العمد. خلف الفتنة. واقام السنة. ذهب نقي الثوب. قليل العيب. اصاب خيرها. وسبق شرها. ادى الى الله طاعته. واتقاها بحقه. رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي.»(١)

ومرة اخرى يخاطب الخليفة عندما استشاره في الخروج الى غزو الروم بنفسه:

« انك ان تسر الى هذا العدو بنفسك. فتلقهم بشخصك فتنكب. لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم وليس بعدك مرجع يرجعون اليه. فابعث اليهم رجلا مجرباً واحفز معه اهل البلاء والنصيحة. فان اظهر الله فذاك ما تحب. وان تكن الاخرى كنت رداء للناس ومثابة للمسلمين.»(٢)

ويستشير الخليفة عمر ابن الخطاب علياً ابن ابي طالب مرة اخرى للشخوص لقتال الفرس بنفسه فينصح الامام الخليفة بعدم الخروج ويقول له :

« والعرب اليوم وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام وعزيزون بالاجتماع. فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب واصلهم دونك نار الحرب... ان الاعاجم ان ينظروا غداً يقولوا... هذا اصل العرب... فاذا قطعتموه استرحتم. فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك... واما ما ذكرت

١ـــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٢٢

٢ـــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٨

من عددهم فانّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة
وانما كنا نقاتل بالنصر والمعونة.» (١)

وهذا هو الامام علي يتحدث مع الخليفة عثمان ابن عفان ويصفه بصفات الصحابي المقرب الى رسول الله (ص):

« ان الناس ورائي وقد استنفروني بينك وبينهم. والله ما ادري ما اقول لك. ما اعرف شيئاً تجهله. ولا ادلك على امر لا تعرفه. انك لتعلم ما نعلم. وما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه. ولا خلونا بشيء فنبلغكه. وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله (ص) كما صحبنا. وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب اولى بعمل الحق منك. وانت اقرب الى رسول الله (ص) وشيجة رحم منهما. وقد نلت من صهره ما لم ينالا. فالله الله في نفسك. فانك والله ما تبصر من عمي ولا تعلم من جهل.» (٢)

ومرة اخرى يتحدث الامام حول الخليفة عثمان مع ابن عباس فيقول :

« يا ابن عباس ما يريد عثمان الا ان يجعلني جملا ناضحاً بالغرب. اقبل وادبر. بعث الي ان اخرج ثم بعث الي ان اقدم. ثمّ هو الآن يبعث الي ان اخرج. والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون آثما.» (٣)

ويذكر الامام علي موقفه من الخليفة عثمان ابن عفان في كتاب بعثه الى معاوية ابن ابي سفيان يقول فيه:

« ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان، فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه، فاينا كان اعدى له واهدى الى مقاتلة. امن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه. امن استنصره فتراخى عنه وبث

١ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٣٠
٢ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٤٨
٣ــ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢٣٣

المنون اليه... وما كنت لاعتذر من اني كنت انقم
عليه احداثاً، فان كان الذنب ارشادي وهدايتي له
فرب ملوم لا ذنب له.» (١)

وهذا هو ابو سفيان شيخ الامويين يزور الامام علياً في داره ويقول له :

« غلبكم على هذا الامر ارذل بيت في قريش. اما
والله لاملئنها خيلاً ورجلاً، اعطني يدك لابايعك.»

فيقول له الامام :

« ما زلت عدو الاسلام واهله فما ضر ذلك
الاسلام واهله شيئاً انا رأينا ابا بكر اهلا لها انما
تريد الفتنة.» (٢)

فان كان هذا هو موقف الامام من الخلفاء الراشدين وهو يصرح بذلك فهل نستطيع ان نقول ان الامام كان يظهر شيئاً ويضمر شيئاً آخر ؟ معاذ الله من ذلك. فان كان الامام يريد ان يظهر شيئاً ويضمر شيئاً آخر لما كان له ذلك الموقف الذي لا ينساه تاريخ الانسان الى الابد، انه موقف صدق واخلاص وايمان من رجل هو مع الحق والصدق قبل كل الاعتبارات وبعدها ويضحي في سبيلهما مهما كانت التضحيات غاليات، ففي يوم الشورى عرض عبد الرحمن بن عوف على الامام علي الخلافة بقوله :

« ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة
الشيخين.»

فقال الامام :

« كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي.»

فكرر عبد الرحمن ابن عوف المقالة نفسها وكرر الامام الاجابة نفسها الى ثلاث مرات ثم انحاز عبد الرحمن الى عثمان وعرض عليه الخلافة بالصورة التي عرضها على الامام فقبلها عثمان وتمت البيعة له.

فهل علي الذي يغض النظر عن خلافة اسلامية كان لواؤها يرفرف على اكبر رقعة من الارض المسكونة في ذلك التاريخ لاجل كلمة واحدة هي (نعم) وهو لا يريد الايفاء بها يجامل او يخادع او يقول شيئا ويضمر غيره او يبايع

١ـ نهج البلاغة ج٣، ص ٣٠
٢ـ علي امام المتقين ـ عبد الرحمن الشرقاوي ج ١، ص ٦٦

الخلفاء ويقول في مدحهم الكلام الكثير ويقف معهم موقف الناصح الامين وهو لا يعني كل هذا ؟

ومع ان هذه الصورة الرائعة المشرقة لموقف الامام علي في تلك اللحظة الخالدة في تاريخ الاسلام تكفي عن الاسهاب في فضائل علي وصدقه واخلاصه وعزوفه عن الدنيا، ولكننا نسجل هنا بعض الاقوال الصادرة عن الامام حول نفسه واخلاصه وتفانيه في الله، يقول الامام :

« فوالله لو اعطيت الاقاليم السبعة وما تحت افلاكها على ان اعصى الله في نملة اسلبها جلب شعيرة، ما فعلت. وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها.»(١)

ويقول الامام في مكان آخر :

« هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه. فان اقل يقولوا حرص على الملك، وان اسكت يقولوا جزع من الموت. هيهات بعد اللتيا والتي، والله لا ابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه.»(٢)

ويقول في ضمن رسالة بعثها الى والي البصرة عثمان ابن حنيف جاء فيها :

« فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا. ولا ادخرت من غنائمها وفرا. ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا..... اقنع من نفسي بأن يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر وجشوبة العيش، او ابيت مبطاناً وحولي بطون غرثى واكباد حرّى. فهيهات ان يقودني هواي الى تخير الاطعمة ولذائذها ولعل بالنجد او اليمامة من لا طمع له بالقرص ولا عهد له بالشبع.....وكأني بقائلكم يقول : ان كان هذا قوت ابن ابي طالب لقعد به

١ـ نهج البلاغة ج ٢، ص ٢١٨

٢ـ نهج البلاغة ج ١، ص ٤٠

الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان. الا
وان الشجرة البرية اصلب عوداً والروائع الخضرة
ارق جلوداً، وانا من رسول الله صلى الله عليه
وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.
فوالله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت
عنها.»(١)

ويقول الامام في مكان آخر :

« والله لئن ابيت على حسك السعدان مسهداً.
وأجر في الاغلال مصفداً. أحب الي من ان القى
الله ورسوله (ص) يوم القيامة ظالماً لبعض
العباد وغاصباً لشيء من الحطام.» (٢)

وهذا هو عبد الله ابن عباس يدخل على علي بذيقار فيرى الامام يخصف نعله فيسأله الامام : ما قيمة هذا النعل ؟

فيقول: لا قيمة لها يا امير المؤمنين.

فيقول الامام:

« والله لهي احب الي من امارتكم الا ان اقيم حقاً
او ادفع باطلاً.»

ولا بد ان اذكر ايضا موقف الامام علي من السيدة عائشة بعد حرب الجمل فقد كرمٌ الامام السيدة ام المؤمنين واكرمها اكراماً يليق بزوجة الرسول (ص) حينما اعادها من ساحة الحرب مصحوبة بعدد من النساء القرشيات.

اما الشيعة فلن تغفر للسيدة عائشة خروجها على الامام في تلك الحرب، وهذا هو سبب موقفها المعارض لام المؤمنين. ولست اريد ان اذكر في هذا المجال المبررات التي ذكرها انصار السيدة عائشة في تبريرهم لخروجها على الامام، ولا الاراء التي ذكرها علماء الشيعة في تبرير موقفهم المناهض لام المؤمنين، فهذه امور معروفة ذكرت في عشرات المجلدات من الكتب ولا فائدة من تكرارها فنحن في غنى عنها، ولكنني اريد انهاء هذا الصراع الفكري بالمنطق الشيعي البحت، وهو ان الامام برأ ساحة السيدة عائشة من الحرب

١ــ نهج البلاغة ج٢، ص ٢٢٠

٢ــ نهج البلاغة ج٢، ص ٢١٦

التي قادتها، والامام هو الخليفة الذي كان يقضي بين الناس بالحق ولا يحيد عنه قيد انملة. فاذا كان الامام قد القى اللوم على فئة استغلوا سذاجة ام المؤمنين واخرجوها من دارها لتقود حركة مناهضة للخليفة المنتخب والشرعي، فيعني هذا ان السيدة عائشة بريئة من كل ما يتعلق بحرب الجمل وذيولها في نظر الامام، ولذلك امر باكرامها وارجاعها الى المدينة بالصورة التي اجمعت عليها كتب التاريخ ليثبت برائتها من تلك الحرب في نظر القاضي العادل الذي هو الامام. فلا يحق لاحد ان يطعن او يجرح السيدة عائشة متحدياً عمل الامام ورأيه الذي يؤكده بصريح العبارة عندما يتحدث عن حرب الجمل واخفاق ام المؤمنين في قيادتها فيقول :

« ولها. (اي للسيدة عائشة) بعد حرمتها الاولى
والحساب على الله تعالى.» (١)

وفي مواطن كثيرة يلقي الامام علياً المسؤلية على الذين استغلوا حرم رسول الله (ص) وجروها ورائهم حسب تعبيره. (٢)

ان من حسن التوفيق ان بعض علماء الشيعة وقف موقفاً لائقاً بام المؤمنين ونهى عن تجريحها. فقد قال السيد مهدي الطباطبائي وهو من علماء القرن الثاني عشر في ارجوزته الفقهية مخاطباً السيدة عائشة :

« ايا حميراء سبك محرم. لاجل عين الف عين يكرم »(٣)

هـ- اقوال ائمة الشيعة في الخلافة والخلفاء الراشدين

ونختتم هذا الفصل باعطاء صورة واضحة المعالم عن موقف ائمة الشيعة حول الخلافة وعدم وجود نص الهي فيها ليكون البحث متكاملا كما قلنا في مقدمة هذا الفصل.

ان الامامة اذا كانت الهية كما تذهب الشيعة وانها في اولاد علي حتى الامام الثاني عشر لعيَّن الامام ابنه الحسن خليفة واماماً من بعده ولكن الذي اتفق عليه الرواة والمؤرخون ان الامام عندما كان على فراش الموت وذلك بعد ان ضربه ابن ملجم المرادي بالسيف المسموم وسئل عن الشخص الذي يستخلفه قال:

١- نهج البلاغة ج ٢، ص ٤٨
٢- نهج البلاغة ج ٣، ص ٨٤
٣- كان الرسول الكريم ينادي السيدة عائشة بالحميراء.

« اترككم كما ترككم رسول الله (ص).»
وبعد وفاة الامام اجتمع المسلمون واختاروا ابنه الحسن وبايعوه خليفة للمسلمين ولكن الامام الحسن صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة. والامام علل الصلح بأنه لحقن دماء المسلمين.

فيا ترى لو كانت الخلافة منصباً الهياً هل كان يستطيع الامام الحسن ان يتنازل عنه بذريعة حقن الدماء ؟

فكما نعلم انه لا مكان لحقن الدماء عندما يكون هناك دفاع عن امر الله وشريعته. وماذا يعني اذن الجهاد والقتال في سبيل الله لارساء دينه وشريعته واوامره ونواهيه. ان حقن الدماء امام حق الهي وسماوي يتناقض مناقضة صريحة مع هذه الآية الكريمة:

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بأن لهم الجنة. يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل
والقرآن. ومن اوفى بعهده من الله، فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به. وذلك هو الفوز العظيم.»
التوبة ١١١

والامام الحسين عندما ثار وهو يريد الاطاحة بخلافة يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء ومعه اولاده وصحابته، لم يذكر قط بانه يدافع عن خلافة سماوية اغتصبها يزيد بل كان يقول انه اولى بالخلافة منه وان مثله لا يبايع يزيدا وانه ثار لاحياء دين رسول الله (ص) الذي انحرف على يد يزيد.

كما اننا لم نجد في اقوال الامام علي بن الحسين الملقب بالسجّاد اية عبارة تدل على كون الخلافة الهية. وبعد الامام السجّاد ياتي دور الامام محمد الباقر والذي في عهده بدأ يتبلور مذهب اهل البيت الفقهي الذي اكمله ابنه الامام جعفر الصادق، فنحن لا نجد اثراً لفكرة الخلافة الالهية في عهدهما ولا في عهد ائمة الشيعة الاخرى حتى الغيبة الكبرى.

وهناك شيء جدير بالاهتمام لابد من التركيز عليه لتفنيد كل الروايات التي ذكرها بعض رواة الشيعة في تجريح الخلفاء الراشدين بما فيهم الخليفة ابا بكر، وهو ان الامام الصادق الذي يعتبر رئيس ومؤسس المذهب الجعفري الامامي الاثنى

عشري قال مفتخراً وفي مواطن عديدة:

« اولدني ابو بكر مرتين.»

فالامام الصادق ينتهي نسبه الى ابي بكر عن طريقين. عن طريق والدته فاطمة بنت قاسم بن ابي بكر، وعن طريق جدته اسماء بنت عبدالرحمن بن ابي بكر التي هي ام فاطمة بنت قاسم بن محمد بن ابي بكر. ولكن الغريب ان رواتنا ـ سامحهم الله ـ رووا عن هذا الامام الذي يفتخر بجده ابي بكر روايات في تجريح هذا الجد لا تعد ولا تحصى. فهل يعقل ان يفتخر الامام بجده من جهة ويطعن فيه من جهة اخرى ؟ ان مثل هذا الكلام قد يصدر من السوقي الجاهل ولكن معاذ الله ان يصدر من امام يعتبر افقه واتقى اهل عصره وزمانه.

وهكذا نرى ان رواة الشيعة ساهموا مساهمة فعالة ولكن بصورة غير مباشرة حتى في الاساءة الى ائمة الشيعة الذين يدعون انهم من انصارهم وانهم الفوا كتباً عديدة لاحياء تراثهم. ونحن نسمي عصر تأليف تلك الكتب وما جاء فيها من الروايات الملفقة بالعصر الاول لظهور الصراع بين الشيعة والتشيع. واعتقد اننا اسهبنا القول في الخلافة وكل ما يتعلق بها، وان الذي علينا الآن هو التحدث عن الفكرة التصحيحية التي ننادي بها وننشدها ونرغب من ابناء الشيعة الامامية ان يسيروا عليها وينضووا تحت لوائها.

وندعو ان تقف الشيعة بكل ما اوتيت من جهد وقوة في وجه المرتزقين بالاقلام والالسنة والدعوات المفرقة ونطلب من الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة التي نعقد عليها الآمال في نجاح مسيرتنا التصحيحية التي ندعو اليها ان تكون منار الهداية للاكثرية التي آمنت بما سمعت من دعاة التفرقة واصحاب العقول المتحجرة والنفوس المريضة والاهواء والمصالح.

التصحيح

وهنا ابدأ بتحديد النقاط الاساسية للتصحيح واملي معقود لضمانه على الطبقة الواعية المثقفة من اصحاب العقول النيرة التي اشرت اليها اعلاه.

١ ـ ان موضوع الخلافة يجب وينبغي ان لا يخرج عن اطاره الحقيقي الذي نص عليه القرآن الكريم.

« وامرهم شورى بينهم.»

وان تنظر الشيعة الى الخلفاء الراشدين بنفس النظرة والطريقة التي اقرها

الامام علي نزولا عند نص القرآن الكريم واجماع المسلمين. وان الخلفاء الراشدين من بناة الاسلام الاوائل وقد اجتهدوا في مدة خلافتهم فاصابوا واخطأوا وخدموا الاسلام ما استطاع كل واحد منهم الى ذلك سبيلا.

فالخليفة الاول ابو بكر حفظ الاسلام من خطر الردة بحزمه وصبره وصرامته. تلك الردة التي كانت السبب في الحروب التي استشهد فيها عشرون الف صحابي للدفاع عن الاسلام وابلى المسلمون فيها بلاء حسنا.

وهذا هو الامام علي يقف على باب ابي بكر في يوم وفاته ويخاطبه بقوله:

« رحمك الله يا ابا بكر كنت اول القوم اسلاما، واخلصهم ايمانا واشدهم يقيناواعظمهم غناء واحفظهم على رسول الله (ص)، وانسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا، فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا.صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا واسماك الله في كتابه صديقا، والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون يريد محمدا ويريدك. وكنت والله للاسلام حصنا وعلى الكافرين عذابا، لم تقلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك، وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف. كنت كما قال رسول الله ضعيفا في بدنك قويا في امر الله متواضعا في نفسك عظيما عند الله، جليلا في الارض، كبيرا عند المؤمنين ولم يكن لاحد عندك مطمع، ولا لاحد عندك هوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه، والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له، فلا حرمنا الله اجرك ولا اضلنا بعدك.» (١)

---

١ ــ الصديق اول الخلفاء ــ عبدالرحمن الشرقاوي.

والخليفة الثاني عمر بن الخطاب اعطي للاسلام قوة عظيمة بفتوحاته ومواقفه الخالدة في توسيع الرقعة الاسلامية شرقا وغربا وهو الذي ارسى قواعد الاسلام في بلاد واسعة شاسعة منها فارس وفلسطين والشام ومصر.

والخليفة الثالث عثمان بن عفان صاهر الرسول مرتين ولولا انه رجل يمتاز عن كثير من اقرانه لما زوجه الرسول بنتين. وكان له جهاد كبير في ابان الدعوة الاسلامية وكفاه فخرا انه كان من اغنياء قريش يملك الف ابل من حمر النعم باعها وصرف ثمنها في سبيل دعوة الرسول (ص) وعلى المسلمين وقدر ثمن تلك الابل بمليون سكة ذهبية في ميزان ذلك العصر. وكان عصره عصرا امتدت فيه الفتوحات الاسلامية حتى وصلت الى تخوم الهند. واذا اخفق في الخلافة في اواخر حياته الا انه قتل وهو شيخ بلغ الثمانين وهو مكب على قراءة القرآن الكريم.

ولا يجوز تجريح الخلفاءوذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في اكثر كتب الشيعة، الكلام الذي يغاير كل الموازين الاسلامية والاخلاقية ويناقض حتى كلام الامام علي ومدحه وتمجيده في حقهم كما اثبتناه قبل قليل.
ويجب على الشيعة ان تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول، فالنبي (ص) صاهر ابا بكر وعمرا، وعثمان صاهر النبي مرتين، وعمر بن الخطاب صاهر عليا وتزوج من ابنته ام كلثوم. ولا اطلب من الشيعة في هذه الدعوة التصحيحية ان تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الامام عليا اكثر مما قاله الامام في حقهم. فلو التزمت الشيعة بعمل الامام علي لانتهى الخلاف وساد الامة الاسلامية سلام فكري عميق فيه ضمان الوحدة الاسلامية الكبرى.

٢ـ غربلة الكتب الشيعية التي ذكرت روايات عن ائمة الشيعة في ذم الخلفاء الراشدين واعادة طبع تلك الكتب منقحة مغربلة مما ورد فيها.

٣ـ على الشيعة ان تعتقد جازمة ان كل الروايات التي ذكرتها كتب الشيعة في حق الخلفاء وفي وجود نصوص الهية في موضوع الخلافة هي روايات وضعت بعد عصر الغيبة الكبرى وذلك بعد ان سدت الابواب كلها في الوصول الى آخر امام للشيعة وهوالمهدي كما قلنا، فلذلك لا نجد اثرا للروايات الجارحة في حق الخلفاء الراشدين وموضوع النص الالهي في الخلافة الى عصر الامام الحسن العسكري وهو الامام الحادي عشر للشيعة الامامية حيث كان

باستطاعة الشيعة ان تتصل بالامام مباشرة وتسأله عن صحة ما ينسب الى آبائه الائمة من الروايات. ولكن بعد الاعلان الرسمي عن غيبة الامام الثاني عشر وتكذيب كل من ادعى رؤيته بعد الغيبة بنص صريح صدر منه وضع بعض الرواة روايات باسم ائمة الشيعة لتعذر الوصول الى الامام والسؤال عن صحتها وسقمها فكان ما كان من حديث واحاديث تندى منها الجباه.

٤ــ ان تخرج الشيعة من الانطواء على نفسها وتسلك طريق الامام عليا ان كانت حقاً من انصاره وتسمي اولادها باسماء الخلفاء الراشدين وتسمي بناتها بأسماء ازواج النبي واقصد السيدة عائشة وحفصة بالذات لأن الشيعة تعزف عن هذين الاسمين، فالامام علي قد سمى اولاده ابا بكر وعمر وعثمان، وائمة الشيعة سلكوا الطريق نفسه وكم من بنات الائمة سمين بعائشة وحفصة هذا بغض النظر عن ان التسمية باسماء الخلفاء الراشدين خروج من جاذبة الفرقة والانطواء على الطائفية والدخول الى صفوف الوحدة الكبرى مع المسلمين.

ويعز على المصلحين من ابناء الاسلام ان لا يصادفوا في البلاد الشيعية اناساً من الشيعة يحملون اسماء الخلفاء، واذا ما طاف احد البلاد الشيعية بطولها وعرضها لا يصادف هذه الاسماء الا نادراً، ففي ايران مثلاً وفي البلاد الشيعية التي يكثر فيها الخلاف مع الفرق الاسلامية الاخرى لا نجد لمثل هذه الاسماء اثراً يذكر.

٥ــان تعلم الشيعة في كل مكان تتواجد فيه على هذا الكوكب ان السبب الحقيقي والاساسي لتخلفها الفكري والاجتماعي هو السير وراء زعاماتها المذهبية واطاعتها اطاعة عمياء جعلتهم كالاغنام تساق الى حيثما تريد وان تلك الزعامات هي التي سببت للشيعة شقاء وعناء ومحنة سعتها سعة السماوات والارض.

ومع انني استثني بعض هذه الزعامات من هذه القاعدة الا ان الاكثرية منهم كانت ولازالت هي الماسكة بزمام البدع الفكرية في عقول الشيعة من عصر الغيبة الكبرى والى هذا اليوم. ولاشك ان التكوين الفكري المغلق لهذه الزعامات والامتيازات المالية الكبيرة التي حصلوا عليها من اموال الشيعة باسم الخمس في ارباح المكاسب تلك البدعة التي سنشير اليها في الفصل الخاص بها والقدرة المطلقة التي زعموها لانفسهم في التحكم برقاب الشيعة كانت السد المنيع لرفع الغطاء عن العيون المحجبة والترفع عن الدنيا وحطامها، وكأنهم لم

يسمعوا كلام الله حيث يقول :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا. والعاقبة للمتقين.»
القصص ٨٢

ورسول الله (ص) يقول :

« آخر ما يخرج من رأس الصديقين حب الجاه.»

وحتى هذا اليوم فان الزعامات المذهبية الشيعية لعبت بالشيعة كالكرة فرمتها باقدامها هنا وهناك وهم بها ساخرون وجعلت منها امة يسخر بها العالم وتضحك منها الامم.

ومع انني ساذكر في فصل من فصول التصحيح (١) شواهد وادلة لاستغلال الزعامات المذهبية الشيعية للشيعة عبر التاريخ وحتى هذا اليوم وفي كل مكان تتواجد فيه هذه الامة المسكينة الا انني وفي كل فصل سأضع النقاط على الحروف كي لا يختلط الحديث بالحديث ولا الفكرة بالفكرة.

١ــ رجع فصل الارهاب.

التقية

انني اعتقد جازماً انه لا توجد امة في العالم اذلت نفسها واهانتها بقدر ما اذلت الشيعة نفسها في قبولها لفكرة التقية والعمل بها. وها انا ادعو الله مخلصاً واتطلع الى ذلك اليوم الذي تربأ الشيعة حتى عن التفكير بالتقية، ناهيك عن العمل بها ؟

التقية

من الصعب علي جداً ان اتصور معنى التقية بالمفهوم الشيعي الخالص وكما وردت في الكتب الشيعية وتبناها بعض علماء المذهب الامامي وساروا عليها منذ الغيبة الكبرى وحتى كتابة هذه السطور.

ولست ادري كيف تدَّعي الشيعة بأنها من انصار الامام الحسين سيد الشهداء وامام الثائرين وهي تعمل بالتقية وتعتقد بها وترتضيها لنفسها، ثم لست ادري ما هذا التناقض الغريب في معتقدات الشيعة وحسب الصورة التي رسمتها لهم زعاماتهم عبر القرون. فمن ناحية يعتقدون بأن سيرة ائمة الشيعة قد تكون حجة عليهم ولكنهم يضربون بها عرض الحائط عندما يصل الامر الى التقية ويتحدثون عن وجوب العمل بها لا سيما امام الفرق الاسلامية الاخرى.

لقد اراد بعض علمائنا رحمهم الله ان يدافعوا عن التقية (١). ولكن التقية التي يتحدث عنها علماء الشيعة واملتها عليها بعض زعاماتها هي ليست بهذا المعنى اطلاقاً انها تعني ان تقول شيئاً وتضمر شيئاً آخراً او تقوم بعمل عبادي امام سائر الفرق الاسلامية وانت لا تعتقد به ثم تؤديه بالصورة التي تعتقد به في بيتك. وقبل ان افصل الحديث في ظهور فكرة التقية بالصورة التي رسموها والاسباب التي كانت وراء انتسابها الى ائمة الشيعة، ينبغي ان نمعن النظر قليلا في عمل ائمة الشيعة وفي حياتهم الخاصة والعامة لكي نرى انهم

١ـ يدافع العالم الشيعي الكبير السيد محسن الامين رحمه الله في كتابه (الشيعة بين الحقائق والاوهام) ص ١٦٨ بقوله:

والدليل عليها العقل والنقل فقد قضى العقل بجواز دفع الضرر بها بل بلزومه واتفق عليها جميع العقلاء ونص عليها الكتاب العزيز والسنة المطهرة فمن الكتاب ايات منها قوله تعالى في سورة آل عمران اية ٢٧

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة.»

اما الامام الرازي فقد قال في تفسير هذه الآية :

التقية انما تجوز فيما يتعلق في اظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز فيما يتعلق باظهار الدين فاما ما يرجع ضرره الى الغير كالقتل فذلك غير جائز البتة.

وفي مذهب الشافعي ان التقية بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة عن النفس. والتقية جائزة لصون النفس. وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل لقوله (ص) : « حرمة المسلم كحرمة دمه.» ولقوله « من قتل دون ماله فهو شهيد.»

وقال الباقر فيما رواه الكليني في اصول الكافي :

« انما حلت التقية ليحقن بها الدم فاذا بلغ الدم فليس تقية .»

كانوا ابعد الناس عن التقية واكثر الناس مقتاً لها. ولنعلم بعد ذلك انه لم يكن من المعقول ان لا يعمل ائمة الشيعة بالتقية وهم يأمرون اتباعهم وشيعتهم بالعمل بها.

ولقد ذكرنا في الفصل السابق صورة واضحة المعالم عن حياة الامام علي وصراحته في الحق ولا نريد تكرارها هنا.

اما ابنه الحسن وهو الامام الثاني للشيعة (١) فكان ابعد الناس من التقية ومخادعة الناس وصلحه مع معاوية يشهد بذلك. فصلح الحسن عمل ثوري وخروج على الرأي العام المحيط بالامام في عصره، فقد لاقى الامام الحسن معارضة صريحة من كثير من شيعة ابيه الذين كانوا لا يريدون الصلح، حتى ان سليمان ابن صرد وهو من كبار شيعة علي خاطب الامام الحسن بقوله :

« السلام عليك يا مذل المؤمنين.»

والمعارضون للصلح كانوا اقوياء واشداء ونال الامام الحسن منهم الكثير، ولكن لم يفت كل ذلك في عضده وقاوم المعارضة مقاومة الابطال.

فياترى لو كانت للتقية مكان في قلب الحسن هل كان يصالح معاوية ام كان يستجيب لنداء الذين كانوا يحثونه على قتاله حتى يبايعه معاوية كخليفة منتخب وشرعي للمسلمين ؟

ثم يأتي دور الامام الحسين الذي ثار ضد يزيد بن معاوية ولم يقبل بنصح اولئك الذين نصحوه بالبقاء في مدينة الرسول ومنعوه من السير الى العراق. وكل من يتابع الثورة الحسينية يعلم بوضوح ان شهادة الامام الحسين واولاده واصحابه وسبي اهل بيته كانت كلها تتجسد امام الحسين قبل المعركة وكان يعلم بها علم اليقين فالحسين جمع اصحابه في ليلة العاشر من محرم وقال لهم بأن غداً سيكون القتال وانه مقتول لا محالة وانه حل البيعة من اصحابه وطلب ان يترك ساحة القتال من شاء منهم في ذلك الليل المظلم وقال لهم :

« اتخذوا الليل جملا وارحلوا الى مصائركم.»

فرحل منهم من رحل وبقي منهم من بقي ليستشهد مع الحسين ويسجل اسمه في سجل الخالدين.

---

١ ــ اطلاق تسمية ائمة الشيعة على هذه الصفوة المختارة من اهل بيت رسول الله هو اطلاق مجازي في حين ان المسلمين كلهم يحترمون اهل بيت الرسول ويرون فيهم القدوة الصالحة.

فهل في مثل هذه الثورة تجد الشيعة اثراً للتقية او كل ما يمت الى التقية بصلة ؟

ثم يأتي دور الامام علي ابن الحسين الملقب بالسجّاد، وهو الذي عاصر ملحمة كربلاء ولم يشترك بالقتال بسبب المرض الذي الزمه الفراش وقد اسر في ضمن من اسر بعد مقتل ابيه وحمل على جمل اقتب مقيداً بالسلاسل من كربلاء الى الشام ولاشك ان تلك الصورة الحزينة المليئة بالدماء والدموع والتي شاهدها السجاد في يوم عاشوراء والذل والهوان الذي احتمله وهو يسير مع الاسرى بين كربلاء ودمشق كانت عالقة في ذهنه ليل نهار وقد انصرف الامام السجادالى العبادة وكان يكثر من البكاء في اناء الليل واطراف النهار حتى لقب بالبكّاء.

انه كان من الطبيعي لذلك الحزن السرمدي الذي كان يعصر قلب الامام ان تتجلى في كلامه وخطبه عبارات تدحض الخلافة الاموية الحاكمة التي كانت حتى ذلك الحين تسب جده الامام عليا على المنابر بعد كل صلاة. فقد ترك الامام السجاد لنا اربعة وخمسون دعاء جمعت كلها في كتاب واحد وسميت تلك الادعية (الصحيفة السجادية).

ان من يقرأ هذه الادعية يعلم علم اليقين كيف ان التقية كانت ابعد شيء الى قلب السجّاد فقد نسف الامام في ادعيته تلك الخلافة الاموية الحاكمة نصاً ومضموناً.

انها حقاً ادعية ثورية صدرت من امام شاهد اضخم الثورات الاسلامية حجماًواقلها زماناً. فاذا لم يستطع ان يشترك فيها بدمه فهاهو اشترك فيها بلسانه كالسيف البتار. وهذا هو الامام السجاد مرة اخرى يطوف بالبيت ويفسح الحجيج له الطريق اجلالا واكراماً، والخليفة هشام ابن عبد الملك يرى كل ذلك ويطوف بين الطائفين والناس في شغل عنه والامام يرى الخليفة ولا يبالي به، فيغتاظ الخليفة لما رأى من الامام وما رأى من الناس في الامام فيسأل متجاهلا :

من هذا ؟

مشيراً الى السجّاد، وتشاء المقادير ان يكون الفرزدق الشاعر حاضراً الموقع فيرتجل قصيدته العصماء مخاطباً الخليفة :

وليس قولك من هذا بضائره ‌ ‌ ‌ العرب تعرف من انكرت والعجم

هذا ابن خير عباد الله كلهم　　هذا الامام التقي الطاهر العلم
لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه　　لقبل الركن منه موضع القدم
يغضي حياء ويغضى من مهابته　　فلا يكلم الا حين يبتسم

ان من يمعن النظر في هذا اللقاء الجاف بين الامام والخليفة الحاكم الذي اغضب هذا الاخير سيعلم علم اليقين ان التقية وكل ما يمت اليها بصلة لم تجد الى قلب الامام سبيلاً.

ثم يأتي دور الامام الباقر وابنه الامام الصادق وهما اللذان اسسا المدرسة الفقهية التي سميت باسم الفقه الجعفري وكان الامامان يدرسان في المدينة في جامع الرسول (ص) ويدليان بآرائهما الفقهية وينشران مذهب أهل البيت بلا خوف ولا وجل. فالباقر عاصر الخلافة الاموية والصادق عاصر نهاية الخلافة الاموية وبداية الخلافة العباسية وكانت الخلافة الاموية والعباسية على اختلاف مع الامامين ولا ترتضي بمدرسة اهل البيت الفقهية، ولكن الامامين اديا الرسالة، وقد تخرج عليهما فقهاء وعلماء كثيرون. وهكذا نرى ان الامامين كانا يؤديان الواجب غير متهيبين من السلطة التي كانت على خلاف معهما.

ومن الغريب ان بعض رواة الشيعة روت عن الامام الصادق روايات في وجوب التقية على شيعته في حين انه وشيعته لم يكونوا بحاجة اليها، فالامام كان يدرِّس في مسجد الرسول (ص) وحوله آلاف من التلاميذ والطلاب والمستمعين. وليت شعري ان اعرف كيف يمكن لمدرسة فقهية بهذه السعة وكثرة الطلاب والتلاميذ ان تبنى على التقية واية تقية استعملها الامام في بناء مدرسته الفقهية التي كان يضع اساسها امام المسلمين وبصورة علنية بما فيهم المحب المخلص والعدو الشامت.

والامام موسى ابن جعفر لم يكن على وفاق مع الخليفة العباسي هارون الرشيد وقضى سنوات في سجن الخليفة ببغداد. فلو كان موسى ابن جعفر يسلك طريق التقية ويخادع الخليفة الذي كان ابن عمه وكانت تتحكم بينهما صلات القربى لما حدث له ما حدث.

وعندما آلت الخلافة الى المأمون العباسي عين الامام علي ابن موسى الملقب بالرضا ولياً للعهد، وعلي الرضا هو الامام الثامن للشيعة الامامية، غير ان الامام قضى نحبه في عهد المأمون واستمرت الخلافة في العباسيين. وبعد

وفاة الامام الرضا زوّج الخليفة المأمون العباسي ابنته ام الفضل لابن الرضا محمد الجواد لكي لا تنقطع المودة بين الخليفة العباسي والبيت العلوي. وهذان الامامان الاب والابن اللذان كان احدهما ولياً للعهد والآخر صهراً للخليفة لم يكونا بحاجة الى العمل بالتقية ولم يطلبا من الشيعة ان يتخذوا من التقية وسيلة لمآربهم.

وبعد الامام الجواد يأتي دور علي وابنه الحسن العسكري الامام العاشر والحادي عشر للشيعة، وقد سكنا عاصمة الخلافة العباسية وعاصرا عهد المتوكل وابنه المعتصم، وكان بيت الامامين موئلاً للزوار وكانا يقومان بشؤون المسلمين الدينية ونشر مذهب اهل البيت. ومن يتابع حياة هذين الامامين يعلم انهما كانا من ابعد الناس عن التقية ايضاً ومع ان عيون الخلفاء كانت تراقبهما وتراقب حركاتهما ودعواتهما الى مذهب اهل البيت التي كانت في الحقيقة معارضة للخلافة العباسية الا ان الامامين لم يباليا بذلك وسلكا طريق الحق في اداء رسالتهما.

لقد اوردنا هذه الخلاصة من حياة ائمة الشيعة لنثبت ان فكرة التقية التي ظهرت بالمفهوم الشيعي الخاص انما ظهرت في اواسط القرن الرابع الهجري وهو بعد الاعلان عن غيبة الامام الثاني عشر وانها ظهرت في مستهل ظهور عصر الصراع بين الشيعة والتشيع وعندما ارادت الزعامات الشيعية المذهبية والسياسية والفكرية ان تتخذ العمل السري وسيلة للقضاء على الخلافة العباسية الحاكمة والاعلان بعدم شرعيتها. وكان من الطبيعي ان يضاف الى فكرة التشيع لعلي واهل بيته عنصراً جديداً يدعم الفكرة دعماً كبيراً فاضيفت فكرة النص الالهي كما قلنا الى الخلافة واصبحت منذ ذلك الحين تشغل حيزاً كبيراً من صميم العقيدة. ويمكن القول ان العمل السري المذهبي بدأ من عصر ظهرت التقية فيه بمظهر الواجب الشرعي الذي يجب ان يتبعه كل من له فكرة دينية ويخشى ان يجهر بها امام السلطة الحاكمة او الاكثرية الاسلامية ولذلك كانت للتقية دور كبير في اسناد الزعامات المذهبية الشيعية التي ظهرت بعد الغيبة الكبرى. فبالتقية استمرت تلك الزعامات في نشاطها وفي مامن من السلطة الحاكمة كما ان الاموال كانت تصل اليها تحت غطاء التقية ايضاً، وهكذا اخذت التقية تسري في الفكر الشيعي والعمل الشيعي طيلة قرون عديدة واخذت طابعاً حزيناً في تكوين الشخصية الشيعية. وانني لا اشك من ان التقية كانت من اهم الاسباب التي ادت الى التخلف الفكري والاجتماعي

والسياسي للمجتمعات الشيعية اينما وجدت ، فقد سرت في دمائهم ومنعتهم من الظهور بالمظهر الذي كانوا عليه خوفاً او خجلا. وحتى في ايران القطر الشيعي وعندما كانت السلطة الحاكمة شيعية خالصة كان الشعب الايراني يسلك طريق التقية كواجب ديني لمواجهة بطش السلطان واستبداده فيضمر لهم بالقلب ما يناقضه في العلن، وهكذا تميز الشعب الايراني الشيعي كسائر نظرائه من الشيعة بازدواجية الشخصية.

وانني لا اشك ابداً ان التقية قاتلها الله لعبت دوراً كبيرا في ابقاء الشيعة بعيدة عن الفرق الاسلامية الاخرى كما انها سببت في رميها بامور عجيبة وغريبة ما انزل الله بها من سلطان وهي بريئة منها. ولكن الدفاع عن تلك الاتهامات والاوهام لاقى صعوبة بالغة بسبب اشتهار الشيعة بالتقية ورميهم باخفاء الحقيقة في كل شيء. ومما يحزن له قلبي ويعصره عصراً هو ان التقية في الفكر الشيعي تجاوزت عامة الناس واستقرت في اعماق قلوب القادة من زعماء المذهب الامر الذي كان السبب في دعوتنا لتخليص الشيعة من تلك الزعامات. فعندما يرتضي القائد الديني لنفسه ان يسلك طريق الخداع مع الناس في القول والعمل باسم التقية فكيف ينتظر الصلاح من عامة الناس ؟

وفي الوقت الذي اكتب فيه هذه السطور وفي عهد وطأت اقدام الانسان على سطح القمر واصبحت الحرية الفكرية والكلامية مقدسة تدافع عن مكنونات الانسان وعقائده خيراً كانت او شراً، يعيش المجتمع الشيعي بقيادة زعاماته مغلقاً على نفسه بالتقية فيظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر. فلا اعتقد انه يوجد زعيم شيعي واحد في شرق الارض وغربها يستطيع ان يعلن رأيه حتى في كثير من البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي خوفاً ورهبة من الجماهير الشيعية التي دربتها الزعامات تلك على العمل بتلك البدع فاصبحت جزءاً من كيانها. فمثلا وليس على سبيل الحصر الشهادة الثالثة (اشهد ان علياً ولي الله) التي يتفق عليها علماء المذهب الشيعي بأنها بدعة لم تكن معروفة في عهد الرسول (ص) والصحابة وحتى في عهد الامام علي وائمة الشيعة وكلهم يجمعون على ان من قالها في آذان الصلوات بقصد (الورود) اي انه وارد في الشريعة عمل عملا محرماً واتى ببدعة. مع كل هذا لا يجرأ احد منهم ان يشير الى هذا الامر قولا او كتابة. كما انه لا يوجد زعيم شيعي واحد يستطيع ان يصارح جمهور المسلمين بحقيقة الخلاف السائد بين الشيعة والسنة والعمل على رفعه.

وكما قلنا فان من اهم عناصر الخلاف الموجودة بين الشيعة والسنة هو تجريح الشيعة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول (ص) وبعض ازواجه. واذا لم يرفع هذا العائق من قائمة الخلاف فسيبقى الخلاف مستحكماً بين الفريقين الى ابد الآبدين، فلا المؤتمرات الاسلامية تجدي ولا الكلمات الاصلاحية الرنانة تنفع ولا خطب المصلحين توقف ثورة الحقد والغضب الكامنة في هذا التجريح المستشري في العقول والقلوب وبطون الكتب وهمس الهامسين.

وهنا ايضاً يسلك زعماء المذهب طريق التقية ايضاً في معالجتهم لهذا الامر فينسبون التجريح والسب والشتم الى جهال الشيعة في حين ان كتب الرواة والمحدثين والعلماء والفقهاء من الشيعة الامامية هي التي ذكرت تلك الاقوال ومنها تسربت الى قلب عامة الشيعة ولسانها.
فيا ترى هل تقع الملامة على الخاصة ام على العامة ؟

ولا اعتقد ان زعيماً دينياً واحداً من زعماء المذهب الشيعي قديماً وحديثاً قد قام بغربلة الكتب الشيعية من الروايات التي تنسب زوراً الى الائمة في تجريح الخلفاء وغيرها من الروايات التي يحكم العقل السليم ببطلانها وعدم صدورها من الامام، مع ان علماء المذهب كلهم مجمعون ايضاً بان الكتب التي يعتمدون عليها في الشؤون المتعلقة بالمذهب فيها روايات باطلة غير صحيحة وهم يذعنون بان هذه الكتب تجمع بين طياتها الصدف والخزف والصحيح والسقيم. ومع ذلك لم يسلك هؤلاء الزعماء طريق اصلاح مثل هذه الروايات . فاذا كانت زعاماتنا الشيعية تتصف بالشجاعة وتؤمن بالمسئولية الملقاة على عاتقها في رفع الخلاف لتحملت مسؤلية الخلاف بكاملها ولعملت على ازالة مثل هذه الروايات من بطون الكتب وعقول الشيعة ولفتحت صفحة جديدة في تاريخ الاسلام ولعم الخير على جميع المسلمين.

اما الفرار من المسؤلية والصاقها بالعوام من الناس تهرباً من الحقيقة والواقع تحت غطاء شرعية التقية فهذا امر يوحي بالاسف الشديد.

وعندما اكتب هذه السطور هناك آلاف مؤلفة من الشيعة الامامية يعملون بالتقية في اعمالهم الشرعية فهم يحملون معهم التربة الحسينية التي يسجدون عليها في مساجدهم ولكنهم يخفونها في مساجد الفرق الاسلامية الاخرى وكثير منهم يقيمون الصلوات في مساجد السنة مقتدياً بامام المسجد واذا عادوا الى بيوتهم اعادوا الصلاة عملا بالتقية معتمدين على روايات نسبت الى

ائمة الشيعة في التقية وافتوا علماء الشيعة مستندين عليها في وجوب التقية ولكل هذا نحن نحث الشيعة الى اتباع التصحيح الآتي:

التصحيح

ينبغي على الشيعة في كل الارض ان تقف من التقية موقف الانسان الكريم الذي يحترم عقيدته وذاته ويجب ان يكون متصفاً بالاباء والشيم التي هي من الاخلاق الفاضلة ، وان يفكر ملياً في الآثار النفسية التي تحدث له هذه الازدواجية في الشخصية والاضطراب بين القول والفعل والتي تتنافى مع الصدق وتتناقض مع صفات المسلم المخلص. فأي كلام او عمل يصدر من الانسان وفيه رياء او خداع لا بد وان فيه مغايرة مع المنطق او عمل الجماعة والاكثرية، ولذلك يجب على المسلم الحقيقي ان يقلع عن كلام او عمل لا يستسيغه المجتمع الاسلامي سراً كان او جهرا، وان يترفع من الظهور بمظهر الانسان المرائي المخادع.

ان على القواعد الشيعية ولاسيما المثقفين منهم ان يحاسبوا زعاماتهم المذهبية حساباً عسيراً في سوقهم اياهم على هذا الدرب الشائك لاغراض في نفوسهم.

ان على الشيعة ان تجعل نصب اعينها تلك القاعدة الاخلاقية التي فرضها الاسلام على المسلمين وهي ان المسلم لا يخادع ولا يداهن ولا يعمل الا الحق ولا يقول الا الحق ولو كان عليه، وان العمل الحسن حسن في كل مكان والعمل القبيح قبيح في كل مكان.
وليعلموا ايضاً ان ما نسبوه الى الامام الصادق من انه قال :

« التقية ديني ودين ابائي »

ان هو الا كذب وزور وبهتان على ذلك الامام العظيم.

الامام المهدي

ان فكرة ظهور رجل من آل محمد يملأ الأرض قسطاً وعدلا فكرة جميلة ومليئة بالآمال الخيرة ولكن علماء الشيعة الصقوا بالامام المهدي جناحين اثقلا كاهل الشيعة في كل زمان ومكان. وهذان الجناحان هما بدعة الخمس في ارباح المكاسب وبدعة ولاية الفقيه فالاولى تعني دفع ضريبة مالية ما انزل الله بها من سلطان، والثانية تعني عبودية الانسان للانسان بلا قيد ولا شرط

الامام المهدي

الاجتهاد والتقليد
الخمس
ولاية الفقيه

تعتقد الشيعة الامامية ان الامام الحسن العسكري وهو الامام الحادي عشر للشيعة عندما توفي عام ٢٦٠ هجري كان له ولد يسمى محمدا له من العمر خمس سنوات وهو المهدي المنتظر. وهناك روايات اخرى تقول ان المهدي ولد بعد وفاة والده الامام العسكري ومهما كان الامر فان المهدي تسلم منصب الامامة بعد والده وبنص منه و بقي مختفياً عن الانظار طيلة خمس وستين عاما. وكانت الشيعة تتصل به في هذه الفترة عن طريق نواب عينهم لهذا الغرض والنواب هم : عثمان ابن سعيد العمري وابنه محمد ابن عثمان وحسين ابن روح وآخرهم علي ابن محمد السيمري.

وهؤلاء النواب الاربعة لقبوا بالنواب الخاص، والفترة هذه تسمى بعصر الغيبة الصغرى. وفي عام ٣٢٩ هجري وقبيل وفاة علي ابن محمد السيمري بشهور قليلة وصلت رقعة اليه بتوقيع الامام المهدي جاء فيها :

« لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد ان
يأذن الله، فمن ادَّعى رؤيتي فهو كذاب مفتر.»

وهذا العام هو بداية الغيبة الكبرى. ومنذ ذلك الحين انقطع اتصال الشيعة بالامام بصورة مباشرة وغير مباشرة، وحتى اذا ادَّعى احد ذلك فالشيعة تكذبه بسبب النص الوارد في آخر خطاب ورد اليهم من الامام المهدي.. هذه هي خلاصة عقيدة الشيعة الامامية في المهدي المنتظر، ولا تزال الشيعة في كل عام وفي يوم الخامس عشر من شهر شعبان تحتفل بولادة المهدي احتفالا كبيراً، وهو الامام الوحيد الذي تحتفل الشيعة بيوم ولادته فقط اما الائمة الآخرين فتكون الاحتفالات في ايام مولدهم ووفاتهم على السواء.

وفكرة المهدي وظهور قائد في آخر الزمان يملأ الارض قسطاً وعدلا بعد ان

ملئت ظلماً وجوراً موجودة في كثير من الاديان. وهناك احاديث روتها كتب الصحاح عن النبي الكريم عن ظهور مهدي من ولده في آخر الزمان ولكن ليس على نحو التعيين. اما الشيعة فتستند على روايات نسبت الى ائمتها ان المهدي المنتظر الذي اخبر به الرسول الكريم (ص) انما هو ابن الامام الحسن العسكري (١). ونحن هنا لا نريد ان ندخل في ذلك الجدل البيزنطي القديم حول المهدي واعطاء تفسير عقلي لبقائه آلاف السنين في هذه الدنيا، فنحن معاشر الشيعة كسائر الفرق الاسلامية الاخرى ما دمنا نعتقد بالغيب وان الله قادر على كل شيء فلا نجد صعوبة في الاعتقاد بأن انساناً ما يعيش في هذه الدنيا خارجاً عن القوانين الطبيعية آلاف السنين، فالقرآن الكريم صريح بأن نوحاً عاش في قومه الفاً الا خمسين عاماً واصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وان الله رفع عيسى ابن مريم اليه وهو حي في رحابه، ولنقرأ معاً هذه الآيات البينات :

« ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما،فأخذهم الطوفان وهم ظالمون.» العنكبوت ١٤

« ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعا.» الكهف ٢٥

« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم من علم الا اتباع الظن. وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما.» النساء ١٥٧ ــ ١٥٨

وفكرة المهدي بحد ذاتها فكرة جميلة، فهي توحي بالخير المحض والتطلع الى عالم مليء بالخيرات والفضائل والحسنات، عالم مثالي طالما دعا اليه

١ــ ذكر الترمذي في صحاحه ان النبي (ص) قال:

« لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي.»

وفي مسند احمد ابن حنبل عن النبي (ص) :

« لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي.» سيرة الائمة الاثنى عشر ج ٢، ص٥٤٣ ــ هاشم الحسيني.

افلاطون في جمهوريته والفارابي الفيلسوف الاسلامي في مدينته الفاضلة مضافاً الى تلك النظرية المثالية قيماً اسلامية رفيعة.

ولو ان الاعتقاد بوجود المهدي بقي محصورا في الايمان بوجود امام غائب من نسل رسول الله (ص) يظهر في يوم ما ويملأ الارض قسطاً وعدلا لكان المسلمون بخير، ولكن مع الاسف الشديد ان فقهاء المذهب الجعفري الصقوا الى المهدي جناحين شوهوا بهما صورة المهدي الرفيعة الوضاءة، وهذان الجناحان بدعتان كبيرتان الصقتا بالمذهب الشيعي في عهد ظهور الصراع بين الشيعة والتشيع وهما تتناقضان مناقضة صريحة واضحة مع نصوص القرآن الكريم وسيرة الرسول (ص) وعمل الامام علي والائمة من بعده. البدعة الاولى هي تفسير الخمس في ارباح المكاسب والبدعة الثانية هي ولاية الفقيه في المجتهدين. ان الزعامات المذهبية التي تولت امور الشيعة الدينية بعد الغيبة الكبرى بسبب فتح باب الاجتهاد ولا زالت هي الماسكة بزمام العقيدة الشيعية حتى هذا اليوم كانت وراء هاتين البدعتين.

اما الخمس فيكاد يكون من المتفق عليه عند علماء المذهب الشيعي انها تشمل ارباح المكاسب والغنائم معاً. الا ان تفسير الغنيمة بأرباح المكاسب ظهر بعد الغيبة الكبرى بقرن ونصف في الكتب الشيعية. اما ولاية الفقيه فهناك من علماء المذهب من عارضها ولكن لها انصارها. الا ان المجمع عليه عندهم ان نوعاً من الولاية التي تشبه صلاحية القضاة في تعيين الوصي على المجنون والطفل القاصر تكون من صلاحيات المجتهدين. وقبل ان نتحدث عن البدعتين الملصقتين بالامام المهدي لا بد من اعطاء صورة واضحة عن الفكرة الاجتهادية عند الشيعة وعلاقة الشيعة بالامام المهدي حسب ما صوره علماء المذهب.

الاجتهاد والتقليد

يستند علماء الشيعة الامامية على فتح باب الاجتهاد بمرسومين صدرا عن الامام المهدي قبيل غيبته، والمرسومان وان كانا يختلفان في المضمون الا انهما يتفقان في المفهوم وهما :

١ــ المرسوم الاول : « واما من الفقهاء من كان صائناً لنفسه. حافظاً لدينه. مخالفاً لهواه. مطيعاً لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه.»

٢ــ المرسوم الثاني : « واما الحوادث الواقعة فارجعوا الى رواة احاديثنا.»

على هذين المرسومين (حيث اولهما يختص بالمجتهدين والثاني يختص بعوام الشيعة) يعتمد علماء المذهب بفتح باب الاجتهاد وعدم الاخذ بآراء الاموات من الفقهاء وعليهما يستند المجتهدون في وجوب التقليد على عوام الشيعة.

وبعد الغيبة الكبرى تصدى لشؤون الشيعة الدينية علماء المذهب واحداً تلو الآخر، ولم تنقطع القيادة المذهبية بين المجتهدين والعامة وان شئت قل بين القاعدة والقمة حتى كتابة هذه السطور وذلك بسبب فتح باب الاجتهاد ووجوب تقليد العوام لرأي المجتهدين. اما الفرق الاسلامية الاخرى فسدت هذا الباب لصعوبات بالغة تعترض العمل الاستنباطي، اللهم الا السلفية حيث انهم لم يسدوا باب الاجتهاد على انفسهم، وفقهاء السلفية يجتهدون في الفروع الفقهية التي لا نص فيها وتخضع لادلة الاستنباط من الكتب والسنة والاجماع والقياس. اما علماء الشيعة فاستبدلوا القياس بالدليل العقلي واتخذوه الاصل الرابع من اصول الاستنباط ومن اغرب الامور ان فقهاء الشيعة ينسبون انفسهم الى المذهب العقلي في استنباط الاحكام الشرعية ولكنهم في الحقيقة ابعد الناس عن استعمال العقل في طريقة الاستنباط.

وليت شعري ان اعرف كيف يستند علمائنا ــ سامحهم الله ــ على العقل في فهمهم للاحكام الشرعية ولاستنباطهم المسائل الفقهية وهم يسلمون بلا جدل ولا نقاش بروايات نسبت الى ائمة الشيعة وجائت في الكتب التي يعتبرونها صحيحة وموثوقة وهي تتناقض مع العقل. نعم اذا اخذنا بعين الاعتبار ان المقصود من استخدام العقل عند فقهاء الشيعة انما هو استخدام الادلة العقلية التي اسس عليها علم اصول الفقه ــ في التصور الشيعي ــ العلم الذي لعلماء الشيعة باع طويل في تأسيسه وتأليفه وهي كيفية استخدام الادلة العقلية لفهم الاحكام الشرعية وبغض النظر عن منطوقها مثل مبحث الظن والقطع والاستصحاب والتعادل والتراجيح وغيرها من الابحاث الاصولية التي ذكرها علماء اصول الفقه في كتبهم. واصول الفقه علم جميل بحد ذاته وله مزاياه العقلية، ومع الاسف البالغ ان الفقهاء لم يستخدموها في اللباب بل استخدموها في القشور.

وقبل ان اتحدث في النظرية الاجتهادية اود ان اذكر هنا امرين لا بد من الاشارة اليهما:

الامر الاول : اود ان اشير الى ذلك الخطأ الرهيب الذي وقع فيه كتاب وباحثون

كتبوا والفوا ونشروا عن الشيعة في السنوات الاخيرة، فقد عرَّفوا الشيعة بالاصولية او الامامية الاصولية وفسروها بأن الشيعة تريد العودة الى القهقرى لانهم ترجموا كلمة الاصول بالجذور وزعموا ان الشيعة تعود الى الجذور والماضي في العقيدة. ولم يدركوا قط ان الاصولية لا تعني العودة الى الجذور بل تعني ان الشيعة الامامية تستخدم قواعداً عقلية اسمها اصول الفقه لاستنباط الاحكام الشرعية في العمل الاجتهادي، ولذلك لُقبوا بالاصوليين. وهناك مئات الكتب الفت في اصول الفقه وكلها تبحث عن المباحث العقلية التي ذكرت بعضها قبل قليل.

الامر الثاني : ان هناك فئة صغيرة من الشيعة تسمي نفسها (الاخباريين) وهم الذين لم يستخدموا علم الاصول او بالاحرى الادلة العقلية في استنباط الاحكام الشرعية، وان العملية الاجتهادية تتم عندهم بالكتاب والسنة والاجماع. ومن اشهرعلمائهم الشيخ حر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة) الذي يعتبر من اهم المصادر الشيعية في الفقه.

ولنعد مرة اخرى الى الطريقة الاجتهادية التي تمتاز الشيعة بها عن غيرها ونود ان نضيف هنا بأن الطريقة الاجتهادية بحد ذاتها امر حسن وجميل يتلاءم مع التطور الاجتماعي والفكري فكما تسير البشرية نحو الافضل وتتحرك نحو الاكمل لا بد وانها تصادف اموراً حديثة هي بحاجة الى قوانين جديدة لم تذكر في المباحث الفقهية من قبل. فالعملية الاجتهادية تسهل استنباط القوانين الشرعية اذا لم تتعارض مع اصول العقيدة، فاذا كان المجتمع متحركاً فلا بد وان تتحرك القوانين الاجتماعية معه عندما لا تتعارض مع الكتاب والسنة والاجماع. فلو كان علماء الشيعة يسيرون في العمل الاجتهادي كفقهاء للمذهب الجعفري يبينون حلال الله وحرامه شأنهم شأن سائر فقهاء المسلمين الذين وقفوا انفسهم لله لم يتخذوا على عملهم اجراً ولم يريدوا عليه جزاء ولا شكوراً لكانت الشيعة بخير ولكانت الامة الاسلامية على احسن ما يرام. ولكن مع الاسف الشديد ان فقهائنا عن عقيدة او عن جهل او ضرورة اضافوا بدعتين صريحتين الى العمل الاجتهادي ومسخوا كل معالم الاخلاص والعمل لله وهما كما قلنا الجناحان الخفاقان على رؤوس الشيعة ما دامت السماوات والارض ــ الخمس في ارباح المكاسب وولاية الفقيه.

الخمس

تقول الآية الكريمة :

« واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل.» الانفال ٤١

يقول فضل ابن الحسن الطبرسي وهو من اكابر علماء الامامية في القرن السادسي الهجري في تفسير هذه الآية الكريمة :

« اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن
يستحقه على اقوال احدهما ما ذهب اليه اصحابنا
وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم، سهم لله
وسهم للرسول (ص) وهذان السهمان مع سهم
ذي القربى للامام القائم مقام الرسول (ص)
وسهم ليتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم
لابناء سبيلهم لا يشاركهم في ذلك غيرهم لان الله
سبحانه حرَّم عليهم الصدقات لكونها اوساخ
الناس وعوضهم من ذلك بالخمس.... وقال
اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل
للانسان من المكاسب وارباح التجارة وفي
الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو
مذكور في الكتب. ويمكن ان يستدل على ذلك
بهذه الآية.»(١)

ان تفسير الغنيمة بالارباح من الامور التي لا نجدها الا عند فقهاء الشيعة فالآية صريحة وواضحة بأن الخمس شرعت في غنائم الحرب وليس في ارباح المكاسب واظهر دليل قاطع على ان الخمس لم يشرع في ارباح المكاسب هو سيرة النبي الكريم (ص) وسيرة الخلفاء من بعده بمافيهم الامام علي وحتى سيرة ائمة الشيعة حيث لم يذكر ارباب السير الذين كتبوا سيرة النبي الكريم (ص) ودونوا كل صغيرة وكبيرة عن سيرته واوامره ونواهيه ان الرسول (ص) كان يرسل جباته الى اسواق المدينه ليستخرج من اموالهم خمس الارباح مع ان ارباب السير يذكرون حتى اسامي الجباة الذين كان الرسول (ص) يرسلهم لاستخراج الزكاة من اموال المسلمين. وهكذا فان الذين ارَّخوا حياة

١ـ الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٤ ص، ٥٤٣.

الخلفاء الراشدين بمافيهم الامام علي لم يذكروا قط ان احداً منهم كان يطالب الناس بخمس الارباح او انهم ارسلو جباة لاخذ الخمس. وحياة الامام علي معروفة في الكوفة فلم يحدث قط ان الامام بعث الجباة الى اسواق الكوفة ليأخذوا الخمس من الناس او انه طلب من عماله في ارجاء البلاد الاسلامية الواسعة التي كانت تحت امرته ان يأخذوا الخمس من الناس ويرسلونها الى بيت المال في الكوفة. كما ان مؤرخي حياة الائمة لم يذكروا قط ان الائمة كانوا يطالبون الناس بالخمس او ان احداً قدم اليهم مالا بهذا الاسم.

وكما قلنا قبل قليل ان هذه البدعة ظهرت في المجتمع الشيعي في اواخر القرن الخامس الهجري فمنذ الغيبة الكبرى الى اواخر القرن الخامس لا نجد في الكتب الفقهية الشيعية باباً للخمس او اشارة الى شمول الخمس في الغنائم والارباح معاً. وهذا هو محمد ابن الحسن الطوسي من اكابر فقهاء الشيعة في اوائل القرن الخامس ويعتبر مؤسس الحوزة الدينية في النجف، لم يذكر في كتبه الفقهية المعروفة شيئاً عن هذا الموضوع مع انه لم يترك صغيرة او كبيرة. من المسائل الفقهية الا وذكرها في تآليفه الضخمة.

لقد سنت هذه السنة السيئة في عصر كانت فيه الخلافة العباسية والسلطة الحاكمة لا تعتقد بشرعية مذهب اهل البيت وبالنتيجة لا تعترف بفقهائهم لكي تخصص لهم مرتبات يعيشون منها كما كانت الحالة بالنسبة لسائر فقهاء المذاهب الاخرى. ولم تكن الشيعة حتى ذلك التاريخ متماسكة بالمعنى المذهبي حتى تقوم باعالة فقهائها فكان تفسير الغنيمة بالارباح خير ضمان لمعالجة العجز المالي الذي كان يقلق حياة فقهاء الشيعة وطلاب العلوم الدينية الشيعية انذاك. ولكن هذا لا يعني ان الشيعة لم تساهم في اعالة الفقهاء وطلاب العلوم الدينية ففي العراق وهو المهد الاول للشيعة توجد حتى اليوم املاك وبنايات واراضي وقفت في القرن الخامس الهجري على الامور الخيرية للشيعة. وبعد ان اسست هذه البدعة اضيفت اليها احكام مشددة لكي تحمل الشيعة على التمسك بها وعلى تنفيذها ولم يكن من بد في حمل الشيعة على قبول اعطاء الخمس وهو الامر الذي ليس من السهل على احد ان يرتضيه الا بالوعيد. فدفع الضرائب في اي عصر ومصر وفي اي مجتمع مهما كان شأنه من الثقافة والديموقراطية والحرية يواجهه امتعاض من الناس. وبما ان فقهاء الشيعة لم تكن لهم السلطة لكي يرضخوا العامة على استخراج الخمس من ارباح

مكاسبهم طوعاً ورغبة فلذلك اضافوا اليها احكاماً مشددة منها الدخول الابدي في نار جهنم لمن لم يؤد حق الامام وعدم اقامة الصلاة في دار الشخص الذي لم يستخرج الخمس من ماله او الجلوس على مائدته وهكذا دواليك. كما ان فقهاء الشيعة افتوا بأن خمس الارباح الذي هو من حق الامام الغائب كما مرت الاشارة اليه يجب تسليمه الى المجتهدين والفقهاء الذين يمثلون الامام. وهكذا سرت البدعة في المجتمع الشيعي تحصد اموال الشيعة في كل مكان وزمان. وكثير من الشيعة حتى هذا اليوم يدفع هذه الضريبة الى مرجعه الديني وذلك بعد ان يجلس الشخص المسكين هذا امام مرجعه صاغراً ويقبل يده بكل خشوع وخضوع ويكون فرحاً مستبشراً بأن مرجعه تفضل عليه وقبل منه حق الامام.

وبعض فقهاء الشيعة ومن بينهم الفقيه احمد الاردبيلي وهو من ابرز فقهاء عصره حتى انه لُقب بالمقدس الاردبيلي افتوا بعدم جواز التصرف بالخمس في عهد الغيبة الكبرى. كما ان بعض فقهاء الشيعة وهم قليلون افتوا بأن الخمس ساقط من الشيعة مستندين على رواية عن الامام المهدي :

« ابحنا الخمس لشيعتنا.»

غير ان الاكثرية من فقهاء الشيعة ضربوا عرض الحائط آزاء الاقلية واجمعوا فيما بينهم على وجوب استخراج الخمس.

وكم اتمنى ان يترفع الفقهاء والمجتهدون عن اموال الشيعة ولا يرتضون لأنفسهم ان يكونوا عالة عليهم بذريعة ما انزل الله بها من سلطان.

ان بعض علماء الشيعة يدافع عن اخذهم الخمس من اموال الشيعة بانها اموال تصرف على المدارس الدينية والحوزات العلمية والشؤون المذهبية الاخرى. ولكن المناقشة ليست في ان تلك الاموال تصرف كيف ولماذا ؟ بل المناقشة اصولية وواقعية ومذهبية وهي ان تلك الاموال تؤخذ زوراً وبطلاناً من الناس، وحتى اذا صرفت في سبيل الله فأنها غير شرعية لا يجوز التصرف فيها. لقد كان باستطاعة فقهاء الشيعة ان يبنوا انفسهم على الاكتفاء الذاتي وان يكون الفقيه معتمداً على نفسه شأنه شأن ارباب الصناعات الاخرى، كما ان باستطاعتهم الحصول على اموال لتنمية العلم والعلماء ولكن بأسم التبرعات والهبات لا بأسم الواجب الشرعي واوامر السماء. وعندما اكتب هذه السطور اعرف مجتهداً من مجتهدي الشيعة لا زال على قيد الحياة وقد ادّخر من الخمس ما يجعله زميلا لقارون الغابر او القوارين المعاصرين. وهناك مجتهد شيعي في

ايران قتل قبل سنوات معدودة كان قد اودع باسمه في المصارف مبلغاً يعادل عشرين مليون دولاراً اخذها من الناس طوعاً او كرهاً باسم الخمس والحقوق الشرعية، وبعد التي واللتيا ومحاكمات كثيرة استطاعت الحكومة الايرانية وضع اليد على تلك الاموال كي لا يقتسمها الورثة فيما بينهم. هذه صورة محزنة من آثار بدعة الخمس التي تبناها فقهاء الشيعة.

ان الزعامات المذهبية الشيعية استطاعت البقاء مستقلة عن السلطات الحاكمة حتى في البلاد الشيعية بسبب هذا الرصيد الذي لا ينضب، فما دامت الزعامة المذهبية الشيعية ترى نفسها شريكة مع القواعد الشيعية في ارباح مكاسبها في اي زمان ومكان فان الاستقرار الفكري لا يجد الى المجتمع الشيعي سبيلا والسبب واضح ومعروف لأن هذه الزعامات بسبب هذه الميزانيات الضخمة التي لا يحتاج الحصول عليها الى الجباة وعمال الضرائب بل تأتيها طائعة مخلصة استطاعت ان تجعل من زعامة الشيعة صرحاً سياسياً يحرك الشيعة في الاتجاه الذي تريده، فلذلك نرى ان تلك الزعامات استخدمت الشيعة في كثير من اغراضهاالسياسية والاجتماعية عبر التاريخ.

وفي ايران القطر الشيعي كانت لنتائج هذا التفاعل بين الشيعة وزعمائها الدينيين اثار سيئة لا تعد ولا تحصى، ولقد وصلت الامور الى ابعد ما يتصور من سوء عندما اضيفت الى بدعة الخمس في ارباح المكاسب بدعة ولاية الفقيه.

وقبل ان نبحث ولاية الفقيه بصورة مسهبة نود ان نضيف هنا لنكون امناء على التاريخ وصادقين في رسالتنا هو ان بعض الزعامات الشيعية خدم الفكر الاسلامي وخدم قضايا وطنية في محاربة الاستعمار او الاستبداد الحاكم مرات ومرات ، ولكننا عندما نقارن بين استخدام اولئك البعض نفوذها في سبيل المصالح العامة وبين استخدام الاكثرية نفوذها في سبيل المصالح الخاصة ونضعها في ميزان لنرى ان كفة المصالح الخاصة تتأرجح على المصالح العامة بصورة تدهش المرء وتوحي اليه بالأسى والحزن.

ولاية الفقيه

ولاية الفقيه هي الجناح او البدعة الثانية التي اضيفت الى سلطة

الذين يدَّعون انهم نواب الامام المهدي في عصر الغيبة الكبرى، وهذه الفكرة بالمعنى الدقيق فكرة حلولية دخلت الفكر الاسلامي من الفكر المسيحي القائل ان الله تجسد في المسيح، والمسيح تجسد في الحبر الاعظم. وفي عصر محاكم التفتيش في اسبانيا وايطاليا وقسم من فرنسا كان البابا يحكم المسيحيين وغيرهم باسم السلطة الالهية المطلقة حيث كان يأمر بالاعدام والحرق والسجن، وكان حراسه يدخلون البيوت الآمنة ليل نهار ليعيثوا بأهلها فساداً ونكرا. وقد دخلت هذه البدعة الى الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى واخذت طابعاً عقائدياً عندما اخذ علماء الشيعة يسهبون في الامامة ويقولون بأنها منصب الهي انيط بالامام كخليفة لرسول الله (ص). وبما ان الامام حي ولكنه غائب عن الانظار ولم يفقد سلطته الالهية بسبب غيبته فان هذه السلطة تنتقل منه الى نوابه لان النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء.

وهكذا اخذت فكرة ولاية الفقيه تشغل حيزاً كبيراً في افكار فقهاء الشيعة، غير ان كثيراً منهم انكروا الولاية بالمعنى الذي تقدم ذكره وقالوا ان الولاية خاصة بالرسول (ص) والائمة الاثنى عشر من بعده ولا تنتقل الى نواب الامام، وان ولاية الفقيه لا تعني اكثر من ولاية القاضي الذي يستطيع تعيين امين على وقف لا متولي له او نصب قيِّم على مجنون او قاصر. ويبدو ان فكرة ولاية الفقيه مع تبني بعض فقهاء الشيعة لها لم تجد الفرصة المواتية للخروج من حيز الفكر الى حيز العمل الا بعد ان استلم السلطة في ايران الشاه اسماعيل الصفوي وهو العصر الذي عبرنا عنه بعصر الصراع الثاني بين الشيعة والتشيع.

والشاه اسماعيل ينحدر من اسرة صوفية كان مقرها مدينة اردبيل الواقعة في شمال غربي ايران، وكان اجداده من اقطاب الحركة الصوفية التي شعارها حب علي واهل بيته، وكان لهم نفوذ قوي في مقاطعة اذربيجان التركية وفي عام ٩٠٧ هجري استطاع الشاه اسماعيل ان ينصب نفسه ملكاً على ايران بعدان كانت الحروب العثمانية الايرانية قد انهكت ايران تماماً.

ولاشك انه كانت وراء الشاه اسماعيل الذي توج رسمياً وهو بعد في سن الثالثة عشرة قيادات صوفية قوية تحرك الملك الفتي الى مآربها. ولم تكن ايران شيعية عند استلام الشاه اسماعيل السلطة اللهم الا مدناً قليلة منها قم وقاشان ونيسابور، فأعلن الشاه المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لايران وبدأت

جحافل الصوفية تتحرك بين المدائن الايرانية تنشد الاشعار والمدائح في حق علي واهل بيته وتحث الناس على الدخول في المذهب الشيعي. واعمل الشاه اسماعيل السيف في رقاب الذين لم يعلنوا تشيعهم، ومن طريف القول ان نذكر هنا ان سكان مدينة اصفهان كانوا من الخوارج فعندما وصلهم امر الشاه بقبول التشيع او قطع الرقاب طلبوا منه ان يمهلهم اربعين يوماً ليكثروا فيها من سب الامام علي ثم يدخلوا في المذهب الجديد فأمهلهم الشاه كما ارادوا، وهكذا انضمت اصفهان الى المدن الشيعية الاخرى.

ومع ان الشاه اسماعيل كان شيعياً بقرارة نفسه وبحكم نشأته ومقامه الصوفي الا ان اعطاء الصفة الشيعية الخالصة لايران كان يهم النظام الجديد كثيراً فالحروب العثمانية وان كانت في حقيقتها حروباً اقليمية لها جذورها الماضية الا ان الاستمرار في هذه الحرب كان يصطدم بفكرة حرمة حرب المسلم مع المسلم وقتل المسلم للمسلم الامر الذي كان يلاقي معارضة داخل ايران، وكانت فكرة الانضمام للخلافة العثمانية والرضوخ لامر الخليفة الذي كان يلقب بأمير المؤمنين امراً له انصاره. ولكن المذهب الجديد الذي املاه الشاه على الشعب الايراني اعطى تماسكاً قوياً للايرانيين وقضى على كل الآمال التي كانت تراود الخليفة العثماني لضم ايران الى خلافته، وفي حين ان الشاه كان يرى نفسه قطباً صوفياً وملكاً اسس للشيعة مجداً لم يؤسس احد مثله من قبل الا انه رضخ لولاية الفقيه وطلب من علي ابن عبد العال الكركي العاملي كبير علماء الشيعة بجبل عامل بلبنان ان يحكم له دعائم السياسة والملك ويجيزه الجلوس على كرسي الملك والحكم باسم الولاية العامة التي هي من صلاحيات الفقيه. ولا زالت الكتب التاريخية تحتفظ بالنصوص الواردة في اجازة الكركي للشاه.

ان رجوع الشاه الى عالم شيعي في جبل عامل بلبنان في ابان حكمه لاسناد نظامه دليل قاطع على ان الزعامة المذهبية الشيعية كان مقرها انذاك في جبل عامل الموطن الثاني للشيعة بعد العراق. ولذلك لا نستغرب ابداً عندما نعلم ان حفيد الشاه اسماعيل وهو الشاه عباس استقدم من جبل عامل العالم الشيعي الكبير الشيخ بهاء الدين الى مقر عاصمته اصفهان ليكون المرجع الرسمي للبلاد ولقبه بشيخ الاسلام.

ومن كل ما اسلفناه يظهر بوضوح ان فكرة ولاية الفقيه كانت موجودة في الفكر الشيعي وعليها كانت تبنى فكرة عدم شرعية الخلافة الاسلامية او اية

حكومة اخرى الا اذا اجازها وباركها الفقيه الذي يمثل الامام الحي الغائب المنصوب بأمر الله.

ومنذ ان ادخل الشاه اسماعيل الصفوي الايرانيين في المذهب الشيعي وحتى كتابة هذه السطور فان للزعامة المذهبية الشيعية نفوذ واسع وكبير في ايران ويحظى باحترام عظيم من قبل الملوك والحكام. ومع ان العلاقات بين الزعامة المذهبية والزعامة السياسية المتمثلة بالملوك والحكام كانت على خير ما يرام عبر التاريخ الا انه كان يحدث في بعض الاحيان صراع بينهما ينتهي بانتصار احدهما على الآخر.

ومنذ ان استطاع الشاه اسماعيل ان يجعل من ولاية الفقيه منصباً يعلو على مقام الشاه وكل المناصب الاخرى لم يحدث قط ان فقيهاً من فقهاء الشيعة رشح نفسه للحكم مباشرة. وفكرة ولاية الفقيه بالمفهوم الذي ظهر في تاريخنا المعاصر ومن الناحية التطبيقية لم تكن تدور في خلد الفقهاء. فلم يستخدم الفقهاء في ايران حقهم في ولاية الفقيه اكثر من الوقوف في وجه السلطان الحاكم اذا ما حصلت بينهم المجابهة او الوقوف مع السلطان في مجابهة الاعداء. وقبل اقل من قرنين وعندما اراد الشاه فتح علي القاجار ان يغزو القيصر في عقر داره كان كبير مجتهدي الشيعة السيد محمد الطباطبائي الملقب بالمجاهد يتقدم جيوش الشاه وقواده لغزو روسيا، وقد افتى بالجهاد باسم ولاية الفقيه، وعندما دحرت ايران في تلك الحرب وتنازل الشاه عن سبعة عشر مدينة كبيرة من اهم المدن الايرانية الى روسيا تنازلا لا رجعة فيه وعاد الجيش المهزوم الى ايران ومعهم السيد المجاهد استقبلهم الايرانيون بهتافات الخزي والعار ورموا على رأس السيد المجاهد وحاشيته وابلا من الجيف والاوساخ استنكاراً منهم لموقف زعيم ديني يقود ايران نحو الهلاك والكارثة التي لن تنسى.

وفي تاريخنا المعاصر وهو عهد الصراع بين الشيعة والتشيع بدأت ولاية الفقيه تظهر على مسارح الاحداث في البلاد الشيعية بصورة حادة وعنيفة اخذت تعصف بكل القيم الاسلامية والانسانية على السواء، ولعل من اهم المفارقات التي تدين هذه النظرية هي حدوث ذلك الصراع الرهيب بين الفقهاء انفسهم حول الفكرة واضطهاد القوة الحاكمة للقوة الفقهية المحكومة.

ومع اننا في رسالتنا التصحيحية هذه لا نريد ان نسمي الاشخاص ونعدد الاسماء حتى لا نفقد صفة الحياد التي هي من اهم شروط التوفيق في كل

رسالة هي لله، ولكن الاحداث التي نشير اليها هي من الوضوح بمكان ويعرفها كل شيعي ملم بأحداث العالم الشيعي. فأحداثها وقعت امام اعينهم او على مسمع منهم، فلذلك نحن واثقون بأنه لا يوجد شيعي واحد من الذين كتب هذا الكتاب لاجلهم يطالبنا بتوثيق ما يتضمنه هذا الفصل بذكر الاسماء والمصادر لان احداث ولاية الفقيه وما رافقها من المآسي في المجتمعات الشيعية سواء اكانت في ايران او غيرها لهي اظهر من الشمس في رائعة النهار.

واعود الآن الى البحث في ولاية الفقيه من الناحية النظرية والعملية معاً، فأساس النظرية لدى فقهاء الشيعة يرتكز على الآية الكريمة :

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم.» الانفال ٥٩

ويقول علماء الشيعة ان المقصود من اولي الامر في الآية الكريمة انما هو الخليفة او الامام الشرعي الذي هو الامام علي ومن بعده اولاده حتى الامام المهدي، وفي غيبة الامام المهدي تكون الولاية للفقهاء المجتهدين الذين يحلون محل الامام وهم النواب العامون.

وخطأ هذا التفسير اوضح من وضوح الشمس فقبل كل شيء تصطدم نظرية ولاية الفقيه بنص صريح جاء في القرآن الكريم وضح صلاحية الفقهاء بعبارة واضحة وصريحة. ومن دواعي الاسف والحزن ان كل اولئك الذين اسهبوا في بطلان نظرية الفقيه لم يذكروا هذه النقطة الجوهرية التي تدحض فكرة ولاية الفقيه من اساسها وتنسفها نسفاً ابدياً حتى قيام الساعة. فالآية الكريمة التي تفند ولاية الفقيه وتنص على مقدار صلاحيته هي :

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون.» التوبة ١٢٢

فالآية صريحة ان واجب الفقيه هو التبليغ والارشاد في شؤون الدين وليست في الآية اشارة الى وجوب اطاعة الفقيه او ولايته. فليت شعري كيف خفيت هذه الآية الكريمة على العلماء والباحثين ونحن معاشر الشيعة كسائر المسلمين نجمع اجماعاً عاماً على انه لا اجتهاد امام النص.

اذن فكرة ولاية الفقيه تتعارض مع نص الكتاب ومن يعارض النص الالهي يعتبر خارجاً عن الاسلام. ولنعد الى الآية الكريمة مرة اخرى:

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول.»

ان من يقرأ هذه الآية الكريمة من غير ان يقطع اجزائها حسب رغبته يعلم علم اليقين ان اطاعة اولي الامر تختلف عن اطاعة الله ورسوله (ص) وانها اطاعة محددة وفي نطاق صلاحيات انيطت بالوالي حسب طبيعة عمله حتى ان الحكم في التنازعات بين المسلمين سلب عنه كما تنص الآية. ثم ان الآية واضحة وصريحة انها نزلت في الذين عينهم الرسول (ص) في عهده كولاة ينوبون عنه في شؤون المسلمين. فالآية نزلت في عهد الرسول (ص) وهي تخص عهده والاشارة اليه اشارة شخصية لا عمومية.

ولكن حتى اذا اخذنا بعموم الآية وانه تشمل اولي الامر بعد عصر الرسول (ص) فانها واضحة في عدم وجوب اطاعة اوامرهم في التنازعات التي تحدث بين المسلمين، الامر الذي يقلل من شأن اولي الامر ويفقدهم صلاحية الولاية العامة او الولاية المطلقة.

وليت شعري ان اعرف كيف استدل المستدلون بهذه الآية على ولاية الفقيه وإعطائه حق التحكم في شؤون المسلمين السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية؟ فاذا كان لا يحق لاولي الامر التدخل في تنازعات المسلمين كما نص عليه الكتاب حتى لا يتخذ اسم الله ورسوله ذريعة لكي يحكم المجتمع الاسلامي حسب اهوائه وعقائده بدون الاخذ بالشورى فهل يمكن القول ان نائب اولي الامر يتمتع بحقوق اكثر من المنوب عنه ؟

وفي ايران وهي مهد ولاية الفقيه في التاريخ المعاصر الذي عبرنا عنه بعصر الصراع الثالث بين الشيعة والتشيع استطاعت ولاية الفقيه ان تحتل الصدارة في الدستور الايراني الجديد وتحتل اهم المواقع الاساسية منه كما استطاعت ان تسيطر على السلطة المطلقة في البلاد. ولكن مع كل هذا لم يستطع حماة الدستور والذين وضعوه والذين دافعوا عنه من حل التناقضات الصارخة بين التطبيقات العملية وبين النظرية الفقهية ولذلك اصبحت النظرية في نظر المجتمع الشيعي نظرية مهلهلة ضعيفة وركيكة مع القوة المادية الهائلة التي تساندها، ولعل من اولى هذه المفارقات والتناقضات الصارخة والتي تتساءل الشيعة عنها في كل مكان هي :

هل ان ولاية الفقيه منصب ديني ام منصب سياسي ؟

فاذا كانت منصباً دينياً لا يخضع للانتخاب ولا يخضع للعزل ولا يخضع للتفريق فكل من بلغ مرتبة الفقاهة اتصف بصفة الولاية وشملته الحصانة ويجب على المسلمين اطاعة اوامره والرضوخ لولايته. ولكن حدث ان فقهاء نُكبوا وأُهينوا وسُجنوا وشُردوا ولا زال بعضهم قيد الاسر والسجن بسبب مواقفهم الفكرية او السياسية من سلطان الفقيه الحاكم.

اما اذا كانت ولاية الفقيه منصباً سياسياً فلماذا ربط بالدين وبالمذهب وظهر في مظهر العقيدة ووجوب الاطاعة لصاحبه.؟

ثم كيف يمكن من الناحية العملية ان يتصور المرء ولاية الفقيه عندما يتضارب الفقهاء بينهم في الآراء وكلهم في مدينة واحدة؟ فلمن ياترى يجب على المسلمين ان يستجيبوا ويطيعوا وكيف يجمعوا بين اراء متضاربة او متناقضة ؟

حقاً ان اسناد قانون كهذا الى الاسلام اهانة الى ذلك الدين القيِّم الذي ارسله الله ليرفع من القيم الانسانية.

ونظرية ولاية الفقيه تجاوزت ايران وتسربت الى مناطق شيعية اخرى وبدأت تعصف بالشيعة هناك كما عصفت بها في ايران. واني اخشى ان يعم البلاء على الشيعة في كل مكان ويهزهم هزاً لا استقرار بعده، فلو علمت الشيعة بالفجائع التي ارتكبت باسم ولاية الفقيه ولازالت ترتكب لاقتلعت ظل الفقهاء من كل ديار يحلون فيها ولفرت منهم فرار الشاة من الذئب. فأثناء كتابة هذه السطور هناك في ايران القطر الشيعي رد فعل عنيف بالنسبة للمذهب وما رافقه من سلطة الفقهاء والمرجعية المذهبية وذلك بعد ان عانى الشعب الايراني من ولاية الفقيه ما عاناه. انه عناء يهدد المجتمع الشيعي في ايران بالخروج من الاسلام افواجاً افواجا.

ولذلك انني ادعو الله مخلصاً ان تصل رسالتي الاصلاحية الى يد الشيعة في ايران وذلك قبل فوات الاوان وليعلموا ان طريق الخلاص ليس الهدم والانكار فقط بل البدء بالبناء والاصلاح.

ولكي لا يتصور القاريء الكريم انني اقصد شخصاً خاصاً من الفقهاء الذين امسكوا زمام السلطة باسم ولاية الفقيه بل اود القول ان الفكرة الشمولية تعم الجميع ولا نقصد فردا خاصا. فنحن عندما نمعن النظر بدقة وتفحص في

الاحداث المؤلمة التي تجري على الساحة الاسلامية والشيعية نرى ان ولاية الفقيه تلعب دوراً بارزاً في احداث تتناقض مع مباديء الاسلام الصريحة، وان الاكثرية من الفقهاء لم يقفوا موقفاً مناهضاً منها، فالاكثرية بين مؤيد او محايد اللهم الا القليل منهم والذين لا يتجاوز عددهم عدد اصابع اليد الواحدة.

التصحيح

اذا استطاعت الشيعة ان تنفذ الطرق التصحيحية التي نحن نطالبها بها للخلاص من الامور الثلاثة التي اشرنا اليها في هذا الفصل والتي هي تخصهم في الصميم لسلكت شوطاً كبيراً في طريق التصحيح واراحت نفسها واستراحت من قيود قيدهم بها عباد الله مخالفاً لاوامر الله. والامور الثلاثه هي:

اولا : التقليد

وهو الاخذ برأي المجتهد والعمل عليه في المسائل الشرعية، والاكثرية الساحقة من الشيعة تعود الى المجتهدين في المسائل الشرعية وقلما يوجد بيت لا توجد فيه رسالة من الرسائل الفقهية التي الفها المجتهدون لعوام الناس وتسمى بالرسالة العملية مع اضافة اسماء اليها مثل (ذخيرة الصالحين) (سراط النجاة) او (ذخيرة العباد) وامثالها، وان المتتبع لهذه الرسائل العملية يجد ان هؤلاء الفقهاء منذ قرون عدة وحتى هذا اليوم دونوا في اول صفحة من رسائلهم المشار اليها هذه العبارة :

« يجب على كل مكلف عاقل ان يكون مجتهداً او
مقلداً او محتاطاً اي عارفاً بموارد الاحتياط وعمل
العامي في الفروع من غير تقليد باطل عاطل.»

وتعني هذه النظرية التي اجمع عليها فقهاء الامامية منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم ان الذي يعمل بالاحتياط هو في حل من التقليد والاخذ برأي غيره. والعمل الاحتياطي يعني ان يعلم المكلف موارد الاختلاف في المسائل الفرعية ويختار الاقرب منها الى الصواب.

اما في اصول العقيدة فلا يجوز التقليد ويجب ان يكون المسلم معتقداً ومؤمناً بها عن بصيرة ودراية.

فالحل الذي نعرضه على الشيعة ونطلب منهم ان يلتزموا به لضمان سعادتهم في الدنيا والآخرة هو ان يعملوا بالاحتياط وليس في العمل الاحتياطي اي خروج على المذهب او مغايرة لاجماع فقهاء الشيعة الامر الذي يسد على الفقهاء

ابواب حث الشيعة على النهوض ضد التصحيح او تخويفهم بعذاب الله في يوم القيامة.

اما اذا حدثت للشيعة مسائل مستحدثة وهي قليلة جداً واعني بها المسائل التي لم تتطرق اليها ابواب الفقه من قبل فحينئذ يمكن استشارة مجتهد او مجتهدين لحلها، وها انا بحول الله وقوته سأضمن للشيعة اصدار رسالة عملية فقهية تحتوي على الآراء الاحتياطية في المسائل التي هي عامة البلوى وذلك بمساعدة علماء وفقهاء اخلصوا لله في نياتهم ولا يريدون عليه جزاء ولا شكورا.

الثاني : الخمس

لقد وقع فقهاء الامامية في مأزق عظيم عندما اجمعوا ان نصف الخمس وهو حق الله ورسوله والامام الغائب ويجب ان يعطى للمجتهد الذي يقلده الشيعي العامي والنصف الآخر يقسمه على الفقراء الهاشميين واليتامى وابناء السبيل منهم، فقد غاب عنهم ان كان هذا هو الحكم الشرعي بالنسبة للمقلدين من العوام ولكن ما هو الحكم بالنسبة للمحتاط الذي لم يأخذ برأي فقيه واحد فهل ان الخمس ساقط عنه ام انه يستطيع التصرف فيه كما يشاء.

ومن هنا يظهر ان بدعة الخمس بالمفهوم الشرعي مع اصرار الفقهاء عليها لم تكن دقيقة وفيها فجوات تحكي ببطلانها بوضوح.

ان بدعة الخمس بالمفهوم الشيعي انما هو مفهوم مخالف لسنة الرسول والخلفاء الراشدين وائمة الشيعة لان الخمس في الاسلام هو الخمس في الغنائم وليس في ارباح التجارة والمكاسب قط.

ومن هنا اطالب الشيعة في هذه الرسالة التصحيحية واحثهم على ان لا يدفعوا هذه الضريبة التي ما انزل الله بها من سلطان لاي فقيه وتحت اي غطاء ولكنني احثهم على المساهمة في الامور الخيرية ومساعدة الفقراء والمؤسسات الاجتماعية والعلمية مباشرة وبلا وسيط وليعلموا ان الأمم التي وصلت الى قمة المجد انما وصلت اليها بالسخاء والعطاء. واذا ارادت الشيعة ان تساعد الفقراء والمجتهدين ورجال الدين فنعما وهذا حسن وجميل ولكن على ان تكون مساعدة شخصية لقضاء مآربهم الخاصة لا لكي يكونوا وسطاء في توزيع الاموال على الغير كما هو شأنهم حتى كتابة هذه السطور.

الثالث : ولاية الفقيه

وهنا اكرر ما قلته من قبل وهو انني اعتقد انه لم يسبق لفكرة دينية في التاريخ البشري كلفت البشرية من الدماء والاحزان والآلام والدموع بقدر ما كلفته ولاية الفقيه عند الشيعة منذ ظهورها وحتى هذا اليوم. ولا اعتقد اننا بحاجة لكي نطلب من الشيعة ان تقاوم هذه الفكرة وتقف ضدها فالفكرة ولله الحمد بدأت تنسف نفسها بنفسها، وعندما يبدأ الهدم الداخلي يتفاعل في نظرية او فكرة بسبب فشلها في التطبيق او بسبب المآسي التي ترتكب باسمها تكون النظرية في طريقها الى الاضمحلال والزوال التام.

الغلو

« ولا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل، واضلوا كثيراً
وضلوا عن سواء السبيل.» المائدة ٧٧

عندما يصل الانسان الى مرحلة التكامل ويعلو على الملائكة فهو في غنى عن الخزعبلات والاوهام التي تنسج حوله وتشوه صورته الوضاءة.

الغلو

الغلو النظري
الغلو العملي

الغلو النظري

هناك مظاهر كثيرة للغلو تبدأ بالغلو النظري وتنتهي بالغلو العملي. والغلو النظري بكل اختصار اعتقاد الانسان في حق انسان آخر انه قادر على الاتيان بكرامات او معجزات او امور خارقة وغير عادية لا يستطيع الاتيان بها عامة الناس.

كما ان الايمان بتأثير انسان ما حياً كان ذلك الانسان او ميتاً في حياة الآخرين خيراً او شراً وفي الدنيا والآخرة هو مظهر كبير من مظاهر الغلو.

والغلو النظري المسطور في كتب الروايات والاحاديث ونسبة الامور العجيبة والخارقة الى الائمة والاولياء والمشايخ كانت السبب في تنمية الغلو العملي وما يصدر من عامة الناس في مقابر الائمة والاولياء والمشايخ في اظهار العبودية وتقديم النذورات وطلب الحاجة المباشرة منهم وامور اخرى لا تعد ولا تحصى.

وفكرة الغلو تحتل قلوب كثير من الناس حتى من غير المسلمين، وتشارك الفرق الاسلامية الاخرى الشيعة في غلوهم بالنسبة للائمة والاولياء نستثني منهم (السلفية) الذين استطاعوا ان يحطموا القيود التي قيدت عقول الناس وقلوبهم على السواء.

غير ان الشيعة سبقت الفرق الاسلامية الاخرى في هذا المضمار كثيراً ويعود هذا الاسراف في الغلو الى كتب الروايات التي لم تهذّب وموقف الفقهاء من تلك الروايات وعدم تفنيدهم لمحتواها. فقد ذكرت كتب الشيعة والتي تعتبر موثوقة قصصاً في معجزات الائمة وفي كراماتهم هي لا تقل عن تلك التي نجدها في كتب روايات الفرق الاسلامية الاخرى عن المشايخ والاولياء وشيوخ الصوفية.

ولا اريد ان ادخل في ذلك الجدل العقيم، هل ان هذه الروايات صادقة ام انها من نسج الخيال ؟ وانها حيكت في عصر كانت اذهان العامة لا ترتضي ولا

تطمئن الا ان تسمع قصصاً مثيرة عن حياة كبرائهم، ولكن النقطة الاساسية والتي ارتكز عليها في هذا البحث هي اننا نحن كمسلمين وكأمة نعتقد بأن المعطيات العقلية هي اكثر المعطيات اتباعاً وقبولا وهي التي تغنينا عن السير اشواطاً وراء السراب. ونحن معاشر الشيعة بالذات قد اتخذنا المذهب العقلي جزءا من استنباط احكامنا الفقهية، وهناك رواية ذكرها الكليني في (اصول الكافي) متواتراً عن الامام الصادق جاء فيها :

« ان اول ما خلق الله العقل، فقال له اقبل فأقبل.
ثم قال له ادبر فأدبر. ثم قال : فبعزتي وجلالي
بك اعاقب وبك اثيب.»

ومن هنا اتخذت الشيعة تلك القاعدة العقلية التي تقول :

« كل ما حكم به العقل حكم به الشرع.»

اي ان المستقلات العقلية التي لا يجد العقل الا بدأ من قبولها او رفضها فالشرع يحكم بذلك. وها انا اسأل :
اين موقف العقل من هذه الخزعبلات التي رواها الرواة بالنسبة لائمتنا من المعجزات والكرامات ؟ واين العقل من هذا الغلو الجارف الذي يمنع المرء من ذكر الله والتوجه اليه ؟
ثم لماذا ونحن الشيعة لا نعطي لائمتنا حقهم في المرتبة الرفيعة التي يحتلونها ؟ وهي الوصول الى مرتبة الانسان الكامل الذي هو معجزة تفوق كل المعجزات الاخرى، فقد جاء في الحديث عن الرسول الكريم (ص):

« ان الله خلق الانسان وركّب فيه العقل والشهوة
وخلق الملائكة وركّب فيها العقل، وخلق البهائم
وركّب فيها الشهوة، فمن غلب عقله على شهوته
فهو اعلى من الملائكة، ومن غلبت شهوته على
عقله فهو ادنى من البهائم.»

ان هذه المرتبة الانسانية الكبرى التي انعم الله بها على الائمة وعباده الصالحين حيث بلغوا مرتبة هي اعلى من الملائكة تغنيهم ورب الكعبة من ان تنسج حولهم الخزعبلات ما تضحك الثكلى.ثم ان الغلو في بعض الاحيان يجتاز مرحلة المدح وينقلب ذماً فمثلا :
ان العصمة التي نسبت الى الائمة كما قلنا في فصول سابقة كان الغرض منها

تثبيت تلك الروايات الكاذبة التي تتنافى مع العقل والمنطق والتي نسبت الى الامام كي يُسَد باب النقاش في محتواها على العقلاء والاذكياء ويرغم الناس على قبولها لانها صدرت من معصوم لا يخطيء.

ولكن العصمة في حقيقة حالها انما هي تنقيص من حق الامام لا مدح فيه لأن تفسير العصمة بالمفهوم الشيعي تعني ان الائمة منذ ولادتهم وحتى وفاتهم لم يرتكبوا معصية بارادة الله، وهذا يعني فقدانهم الارادة في تفضيل الخير على الشر، ولست ادري اية فضيلة تكتب للمرء عند الله اذا لم يستطع القيام بعمل الشر بسبب ارادة خارجة عن ذاته. نعم اذا كانت العصمة تعني ان الائمة مع القدرة على الاتيان بالمعاصي لن يأتوا بها لعلو في نفوسهم وملكة قوية في اخلاقهم وحاجز يحجزهم عن معصية الله فهذا كلام معقول يتلائم مع المنطق والعقل. ولكن في هذه الحالة لا نستطيع القول ان هذه النفسية تخص اشخاصاً معدودين وانها خاصة لائمتنا فقط بل انها صفة يستطيع كل انسان ان يتصف بها اذا التزم حدود الله واطاع اوامره وانتهى عن نواهيه وحسبنا كتاب الله الذي اعطى لنا مثلا رائعاً وصورة بليغة لهذه العناية الالهية في سورة يوسف :

« وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك. قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون. ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا ان رأى برهان ربه. كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين.»
يوسف ٢٢ ــ ٢٣

والعلم اللدني (١) من هذا النوع ايضاً فما هي الفضيلة في اقتباس العلوم بلا جهد ومثابرة وسعي، وادهى من ذلك ان بعض علمائنا ذهبوا الى ابعد من ذلك وقالوا ان الامام يعلم كل شيء وله معرفة بكل العلوم والفنون، ولست ادري ايضاً ما هي الفضيلة بالنسبة اليه ان يكون مهندساً او ميكانيكياً او عالماً باللغة اليابانية. انما الفضيلة بالنسبة للامام ان يكون فقيهاً ورعاً وعالماً ربانياً في شؤون الدين وفي هذا كل الفضل. ثم اذا كان القرآن الكريم يقول في رسوله الذي ارسله للناس ضياءاً ونورا :

١ــ يقصد بالعلم اللدني العلم الذي يحصل للمرء بالالهام وبدون جهد ومثابرة.

«قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» الإسراء ٨٥.

وينفي عنه العلم بالغيب بقوله :

« قل لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير»
الاعراف ١٨٨

فكيف تسوغ لنا نفوسنا ان ننسب الى ائمتنا صفات تعلو على صفات رسول الله (ص) اما المعاجز والكرامات التي كانت تصدر عن الانبياء في حين وآخر ويشير اليها القرآن الكريم فانها كانت تحدث في عهد التحديات الانسانية لرسالات السماء وفي عهود كانت البشرية لا تستطيع درك المفاهيم العقلية والفضائل العليا بلغة المنطق والاستدلال وكان لا بد من حملها الى طريق الايمان فأنعم الله على انبياءه وكرمهم بالمعاجز ليكونوا حجة على الناس وارسل الله رسوله (ص) بالمعجزة الخالدة وهو القرآن الكريم، انها المعجزة الابدية التي تبقى ما شاء الله لها ان تبقى.

وبمحمد ختمت الرسالة وختمت المعجزات واكمل الدين واتمت النعمة وجاء قول الله صريحاً وجليا :

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا.» المائدة ٣

ومرة اخرى ونحن نتحدث عن الغلو النظري عند الشيعة قبل الغلو العملي ونترك الباب مفتوحاً لسائر الفرق الاسلامية الاخرى ان تتحدث هي عن الغلو الحاكم في قلوب ابنائها وفي بطون كتبها.

ان المؤسف حقاً هو ان الغلو النظري مثل العملي دخل الى اعماق القلوب عن طريق فقهاء المذهب والمجتهدين فالمسؤلية الاولى والاخيرة تقع على عاتقهم لانهم هم الذين قادوا العوام على الطريق، فهناك امور نسبتها كتب الشيعة الى الأئمة وتبناها فقهاء المذهب وذكرتها كتب الروايات الموثوقة عندهم مثل (اصول الكافي) و (الوافي) و (الاستبصار) و (من لا يحضره الفقيه)و (وسائل الشيعة) وغيرها من اهم الكتب والمصادر الشيعية، وفي كثير منها الغلو وفي كثير منها الحط من قدر الائمة ولكن بصورة غير مباشرة، ومع اننا نستثني بعض علمائنا وبعض مراجعنا حيث اتخذوا موقفاً منصفاً ومعتدلا من الغلو النظري والعملي، غير ان الاكثرية منهم ساروا على درب الغلو من الفه الى يائه. ولعل من اهم مواضيع الغلو :

١ــ العصمة
٢ــ العلم اللدني
٣ــ الالهام
٤ــ المعاجز
٥ــ الاخبار بالغيب
٦ــ الكرامات
٧ــ تقبيل الاضرحة وطلب الحاجات

وهنا اود القول بكل صراحة ووضوح هو انني عندما اطلب غربلة الكتب الشيعية وتهذيبها من الروايات التي تسيء الى العقل الانساني بدلا من ان تصقله اطلب في الوقت نفسه من علماء الفرق الاسلامية الاخرى ان تهذب وتغربل بدورها كتبها من الروايات التي جاءت فيها وهي لا تقل عن الغرابة والسخف من الروايات التي دُوِّنت في كتب روايات الشيعة.

الغلو العملي

ان الغلو العملي يتجسد في طلب الحاجات الدنيوية والاخروية من الأئمة والاستغاثة بهم بصورة مباشرة. كما ان تقبيل الاضرحة هو امر شائع في مراقد الأئمة والاولياء معا.

حقاً لقد سئمت من المناقشة والمناظرة مع فقهائنا ــ سامحهم الله ــ حول تقبيل الاضرحة وطلب الحاجات من الأئمة وقراءة الزيارة (١)ا مام قبورهم بدلا من قراءة القرآن الكريم فلم اسمع منهم الا تكراراً لكلمات قيلت وقيلت، فقد ارادوا ان يجدوا العذر في تقبيل الاضرحة بتقبيل الرسول الكريم (ص) الحجر الاسود في حين ان عمل الرسول (ص) كان يعتبر سنة لموقع خاص ومقام خاص حتى ان الخليفة عمر ابن الخطاب وقف امام الحجر مخاطباً له :

> « انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكنني رأيت رسول الله يقبلك فاقبلك.»

وان الرسول (ص) لم يسمح ابداً ان يقبل احد يده بل كان يصافح زائريه والقادمين اليه، كما اننا لم نسمع ولم نقرأ ان الامام علياً سمح لاحد ان يقبل

١ــ افردنا فصلاً خاصاً لهذا الموضوع.

يده او رداءه. وهذا هو الامام الصادق وقد اغضبه رجل عندما اراد ان يقبل عصاه التي يتوكأ عليها بذريعة انها عصا رسول الله (ص) فقال له غاضباً :

« ويحك (وهو يشير الى يده) هذا لحم ودم
رسول الله فلماذا تقبل ما لا يضرك ولا ينفعك.»

ومن الغريب في استدلال علمائنا بتقبيل النبي الكريم للحجر الاسود وجواز تقبيل الاضرحة بالقياس عليه هو انهم من اشد الناس معارضة للقياس في استنباط الاحكام الشرعية، وكما نعرف جعلوا الدليل العقلي بدلا من القياس في استنباط الاحكام ولكنهم اخذوا به عندما رأوا مصلحة في ذلك.

لقد زرت مقابر الاولياء في كثير من البلاد الاسلامية فرأيت الزائرين فيها على النمط الذي نراه في مشاهد أئمتنا، ودخلت كنائس المسيحيين في كثير من بلاد العالم فرأيت الناس فيها كما هي فهم يتبركون بتمثال المسيح وبأقدام العذراء وقد تركوا الله جانباً ويطلبون منهما العون في الدنيا والآخرة. ودخلت معابد البوذيين والشنتو ومعابد الهنود والسيخ فرأيت ما رأيته من قبل في مشاهد المسلمين والمسيحيين معاً من تقديم القربان وطلب الحاجة وتقبيل التماثيل والركوع والخضوع والخشوع امامها.

وهكذا رأيت البشرية تعوم في سراب من الاوهام. وحقاً اكبرت اولئك العلماء من المسلمين امثال ابن حزم الاندلسي ومن حذا حذوه من الذين منحهم الله عقولاً جبارة اتخذوها مناراً وهداية لهم وللآخرين فسبقوا عصورهم بقرون وقرون ووقفوا موقف الساخر الغاضب من هذه الاعمال. ولنقرأ معاً هذه الآيات البينات وقد عالجت هذه الامور بصراحة ووضوح :

١ ــ « قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسني السوء ان انا الا بشير ونذير لقوم يؤمنون.» الاعراف ١٨٨

٢ ــ « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك.» هود ٣١

٣ ــ « قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب

الا الله.» النمل ٦٥
٤ــ « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداعي اذا دعاني.» البقرة ١٨٦
٥ــ « وقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس له
نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد.» ق ١٦

التصحيح

ومرة اخرى نعود الى الفكرة التصحيحية الكبرى وهي غربلة الكتب وتنقيحها وتهذيبها من الشوائب والاخبار غير الصحيحة التي جاءت فيها. واذا ذكرنا اعلاه بعض اسماء الكتب التي يعتبرها فقهاء الشيعة كتباً معتبرة والتي الفت في عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشيع ولكن من المهم ان نذكر ايضاً ان الكتب التي الفت في العهد الثاني من الصراع اي في عهد الدولة الصفوية لهي ادهى بكثير من تلك التي كتبت في وقت متقدم. فلقد جمعت بعض هذه الكتب بين صفحاتها من عجائب الامور والاقوال ما لا يرتضيه اي عاقل واي محب لاهل بيت الرسالة. ولعل من نافلة القول ان نذكر هنا على وجه التحديد

موسوعة بحار الانوار الضخمة التي وضعها المولى محمد باقر المجلسي باللغة العربية وفي مجلدات تربو على العشرين. ان هذه الموسوعة هي بحق من اكثر الموسوعات نفعاً وضررا،فهي في الوقت الذي تجمع في طياتها تراثاً علمياً غنياً وتمد الباحثين والعلماء به فهي تحتوي ايضاً على اقوال ضارة ومواضيع ركيكة اضرت بالشيعة والوحدة الاسلامية اعظم الضرر واكبره. ومع ان المؤلف يعترف في مقدمة كتابه الذي سماه بحاراً لأنه كالبحر الذي يوجد فيه الصدف والخزف، فكتابه ايضاً يحتوي على الضار والنافع شأنه شأن البحر،ولكن مع الاسف ان الخزف الموجود في كتاب البحار قد اضر الشيعة والوحدة الاسلامية اكثر من اي أثر آخر الف حتى الآن في التاريخ الشيعي.

لقد خصص المؤلف شطراً كبيراً من موسوعته في معاجز ائمة الشيعة وهي مليئة بالافكار الغلوائية التي تحتوي على قصص في المعاجز والكرامات تنسب الى ائمتنا. حقاً انها حكايات تصلح لتسلية الاطفال.

والجانب الآخر الهدام في هذه الموسوعة هو التركيز على الطعن وتجريح الخلفاء الراشدين وبصورة مقذعة في بعض الاحيان، الامر الذي اتخذه تجار

الطائفية البغيضة فرصة مواتية لاثارة العداء بين الشيعة والسنة ولا زالت الكتب التي تؤلَّف ضد الشيعة تركز تركيزاً مباشراً على كتب المجلسي. والمجلسيّ الَّف كتباً باللغة الفارسية ايضاً وهي لا تقل في محتواها عن موسوعته العربية، ولاشك ان عصر المجلسي وتأييد النظام الحاكم للمذهب الشيعي ولعلماء المذهب كان من اهم عوامل تأليف موسوعة مثل (بحار الانوار) الكتاب الذي كان يضمن الخلاف الابدي بين الشيعة في ايران وبين الاكثرية الساحقة من المسلمين الذين كانت الخلافة الاسلامية المجاورة لايران تحكمهم باسم امير المؤمنين. والمجلسيّ الذي ولد في عام ١٠٣٧ هجري وتوفي في عام ١١١١ هجري كان معاصراً للشاه سليمان والسلطان حسين من الملوك الصفويين وعُيِّن برتبة شيخ الاسلام وانيطت به الشؤون الدينية في ايران بأمر الشاهين الذين حكما ايران في ازهى عصور الدولة الصفوية.

وقبل اكثر من ثلاثين عاماً عندما ارادت دار للنشر في ايران ان تجدد طبع موسوعة البحار في مئة مجلد امر الامام الطباطبائي البروجردي الزعيم الاعلى للطائفة الشيعية انذاك ان يخضع الكتاب للتهذيب والتنقيح ويجرد من كل الروايات والقصص التي فيها تجريح للخلفاء الراشدين ولكن الناشر الذي كان من اكبر تجار الطائفية وبتعاون مع جهات مشبوهة بدأ بطباعة الموسوعة من المجلدات الضخمة التي لا تحتوي على تلك الروايات والقصص المضرة متجاهلا التسلسل الوارد في الموسوعة وتم طبع المجلدات الضارة بعد وفاة الامام البروجردي وعرضت في المكتبات الاسلامية لتكون وقوداً جديداً لاثارة الضغناء والشحناء بين المسلمين. ولقد انبئت اخيراً ان الموسوعة طبعت مرة اخرى في لبنان بمساعدة جهة لها اتصال عميق بالدوائر الاستعمارية التي كانت سياستها الدائمة فرق تسد.

وفي معرض حديثنا عن غربلة كتب روايات الشيعة لابد من ان نذكر هنا وبكل صراحة ان الدفاع الذي يقدمه بعض فقهائنا لصحة الروايات التي نريد غربلتها هو ان علم الدراية او علم الرجال يساند صحة صدور تلك الروايات عن ائمة الشيعة وصدور بعض المعجزات والكرامات عنهم.

وليت شعري ان افهم ايهما افضل للقبول والاتباع علم الدراية والرجال ام كتاب الله الكريم وسنة رسوله وبعدهما العقل والمنطق والبرهان، ورسول الله

(ص) يقول :

« كل ما وافق الكتاب فخذوه وما عارضه فانبذوه.»(١)

وقبل ان اختم هذا الفصل لابد من الاشارة الى موضوع له من الاهمية بمكان فقد دأب كثير من فقهائنا والمعنيين بالشؤون الشيعية في رفضهم لقبول غربلة الكتب المشار اليها من المواضيع التي تقصم ظهر الوحدة الاسلامية ان يتذرعوا بالقول ان كتب السنة ايضاً مليئة بما يجرح الشيعة وترميهم بالزندقة والكفر والخروج عن الاسلام.

لقد صارحنا فقهاءنا من الشيعة وقلنا لهم ان كتبكم طعنت و جرحت الخلفاء الراشدين الذين لهم مكانة كبرى في قلوب المسلمين، وازواج النبي (ص) وصحابته، والسنة لا تقول مثل هذا الكلام في ائمة الشيعة بل تكرمهم وتذكر فضائلهم. ولكن حينما يريد علماء السنة الدفاع عن اعز واكرم فئة ترى فيها امتداداً لرسول الله (ص) وقد ذكرتها الكتب الشيعية بما لا يليق بمكانتها فلابد وان توجه السهام نحو صدور اولئك الذين دونوا مثل تلك الاقوال في كتبهم. ومن هنا نستطيع القول ان وطأة الكتب الشيعية وما فيها من كلام جارح على الخلفاء هي اقسى واشد كثيرا على السنة مما تقوله السنة في الشيعة نفسها. وبما اننا نريد بعون الله وارادة ان ننهي هذا الخلاف الى الابد ونقدم حلولا تصحيحية تضمن إنهاءها عاجلا او اجلا فكان لا بد من سلوك طريق الصراحة، ونحن هنا في موقف امام الله والتاريخ والمسلمين جميعاً.
فلذلك نقول انه توجد في بعض الكتب التي الفها كُتاب السنة طعناً او جرحاً في حق بعض أئمة الشيعة ونقصد بأئمة الشيعة هنا أئمة آل البيت ووصفهم بعبارة ائمة الشيعة هو وصف مجازي دأب عليه الاصطلاح والا فأن أئمة آل البيت كالحسن والحسين وزين العابدين وغيرهم من آل البيت هم أ ئمة لأهل السنة ايضاً. ومن يجرح هؤلاء يعتبر مجروحاً في موازين اهل السنة ايضاً.
ومن الواضح انني لا اقصد باولئك الكتاب الخوارج الذين لهم موقف واضح وصريح من الامام علي. ومع انني اعترف ان كتباً من هذا النوع نادرة جداً الا أنها تؤخذ كرأس رمح يمنع القيام بالحركة التصحيحية ويستغلها المتاجرون بالطائفية الذين لا يريدون ان تتم الوحدة الاسلامية الكبرى فيستندون على

---

١ ـ اجمعت رواة السنة والشيعة على صحة هذا الحديث

مثل تلك الكتب النادرة التي لا تتداولها الايدي كثيراً ولكن وجودها يعتبر ذريعة.

وانني ادعو الله مخلصاً ان يوفق المصلحين من امة محمد (ص) بغربلة امثال تلك الكتب ايضاً حتى تكون مهمتنا شاملة وعامة.

زيارة مراقد الائمة

وحتى الآن لم اسمع جواباً شافياً من فقهائنا سامحهم الله في تفضيل كلام المخلوق على الخالق.

زيارة مراقد الائمة

لقد فصلنا في مبحث الغلو وجه الاشتراك بين الشيعة وسائر الفرق الاسلامية في زيارة مراقد الائمة وقبور الاولياء نستثني منهم السلفية كما اشرنا. وفي هذا الفصل نتحدث عن مورد الاختلاف بينهم وهو الذي تنفرد به الشيعة عما سواها في زيارتها لقبور ائمتها. لقد غيرت الشيعة مسار الزيارة لمراقد الائمة التي يجب ان تكون لله الى زيارة سياسية اعلامية تثقيفية ومذهبية.

انني وعندما اكتب هذه السطور هناك عشرات الآلاف من الشيعة تزور مراقد الائمة في ايران والعراق والمدينة المنورة كل يوم وفي آناء الليل واطراف النهار. وعلى ما اعتقد لا يوجد بين هذه الاكثرية الساحقة شيعي واحد يقرأ فاتحة الكتاب او سوراً من القرآن الكريم عندما يدخل الى العتبات ويقف امام قبر من قبور الائمة. ان العادة جرت للشيعة ومنذ قرون ان تقرأ امام قبور أئمتها عبارات مطولات اسمها (الزيارة) التي تجمع بين طياتها مدحاً للائمة والثناء عليهم والتنديد بأعدائهم ثم قليل من الدعاء. وقلما يوجد بيت للشيعة لا يتوفر فيه كتاب (مفاتيح الجنان) وهو الكتاب الذي يحتوي على مئات من الزيارات للائمة ولاولادهم وكلها على نمط مشابه وبفارق صغير في بعض الاحيان. ولنقرأ معاً بعض المقاطع من (الجامعة الكبيرة)وهي من اهم الزيارات شأناً وتقرأ عند قبر كل امام من الائمة وهي من المطولات، فقد روى الصدّوق في كتابه (الفقيه) ان الامام العاشر علي ابن محمد الجواد علّم احد خواصه وهو موسى ابن عبدالله النخعي بهذه الزيارة :

> « السلام عليكم يا اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ......وامناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين......اشهد انكم الائمة الراشدون المهديون المعصومون المكرمون المقربون المتقون

الصادقون......الراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق والمعترض في حقكم زاهق والحق معكم وفيكم ومنكم واليكم وانتم اهله ومعدنه وميراث النبوة عندكم وآيات الخلق اليكم وحسابهم عليكم وفضل الخطاب عندكم وعزائمه فيكم......من والاكم فقد والى الله ومن عاداكم فقد عادى الله ومن احبكم فقد احب الله ومن ابغضكم فقد ابغض الله......اشهد الله واشهدكم انني موال لكم ولاوليائكم، مبغض لاعدائكم ومعاد لهم سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم، بكم يسلك الى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن.»(١)

وهكذا تستمر الزيارة بمثل هذه العبارات وتختم بعد ذلك بدعاء قصير.

ان الزيارة التي ذكرنا مقاطعاً صغيرة منها هي اكثر الزيارات اعتدالاً ومضموناً الا ان هناك زيارات اخرى وكثيرة فيها عنف وشدة وفي بعضها تجريح للخلفاء الراشدين، لكن الطابع العام في هذه الزيارات هو التنديد بظالمي آل محمد والاعتراف بفضل علي واولاده واحقيتهم بالامامة. وهناك زيارات كثيرة ايضاً تخص الامام الحسين تحتوي على التنديد بالامويين مع السب الصريح في حق كثير منهم بسبب قتلهم الحسين. ولا شك ان مقتل الامام الحسين في واقعة كربلاء وسب الامام علياً على المنابر الذي بدأ به معاوية ابن ابي سفيان واستمر حتى خلافة عمر ابن عبد العزيز عام ٩٩ هجري الذي رفع السب يعتبر من اهم الاسباب التي ادت الى ظهور رد فعل عنيف من قبل الشيعة وهو اعطاء السب والشتم صفة دينية وقانونية ادخلت في الزيارات التي تُقرأ امام قبور الائمة واولادهم وحتى هذا اليوم. ومن خلال تفحصي للزيارات التي ذكرتها كتب الزيارات مثل (مزار البحار) و (مفتاح الجنان) و (ضياء الصالحين) و (مفاتيح الجنان) وغيرها يبدو لي واضحاً ان اسماء الخلفاء الراشدين دخلت في بعض هذه الزيارات صراحة او تلميحاً في وقت متأخر عن العصر الذي كتبت فيه هذه الزيارات فلذلك لا نجد لهم ذكراً الا في قليل منها.

١ــ مفاتيح الجنان، القمّي، ص ١٠٠٨

ان من يفكر ملياً بالأسباب الكامنة وراء وضع هذه الزيارات وشيوع قراءتها امام قبور الائمة والانصراف الكامل عن قراءة القرآن الكريم الذي هو كلام الله وله الشرف كل الشرف على كلام المخلوق ليعلم بوضوح ان الغرض منها انما هو نشر الثقافة المذهبية والتركيز على اهم مبادئها وهو احقية الائمة بالخلافة من سواهم. ويجب علينا ان نذكر ايضاً ان زيارة قبر الامام الحسين بدأت بعد مقتله بأربعين يوماً حيث وصلت الى كربلا أول قافلة تضم اهل بيته وبعض صحابته للسلام عليه واستمرت تلك القوافل بالوفود الى كربلاء عاماً بعد عام وحتى هذا اليوم.

وعندما نعود الى الاسباب الكامنة التي كانت وراء تلك الاجتماعات التي كانت تحصل عند قبر الامام الحسين باسم زيارته لنعلم انها كانت لقاءات بين الشيعة تفد الى قبر الحسين من اقاصي البلاد لكسب الثواب ولنشر المذهب الشيعي والتنديد بالخلافة التي تجسدت في الامويين في باديء الامر ثم في العباسيين بعدهم وانها في نفس الوقت كانت تظاهرات شيعية لتوحيد الصفوف ونشر اهداف المذهب الشيعي.

ولهذا فانني لا استغرب ابداً عندما اقرأ في كتب الروايات التي هي بين ايدينا روايات تنسب الى ائمة الشيعة تحث الناس على زيارة الامام الحسين وقد جاء في بعضها :

« لكل خطوة يخطوها الزائر في سبيل زيارة
الحسين له قصر في الجنة.»

وحتى انهم جعلوا لكربلاء مقاماً اعلى من الكعبة وقد قال احد شعراء الشيعة :

وفي حديث كربلاء والكعبة ... لكربلاء بان علو الرتبة

كما ان روايات اخرى قالت :

« ان من بكى على الحسين او تباكى غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر»

ان مثل هذه الروايات وانتسابها الى الائمة اعطت حيوية خارقة في السعي للوصول الى كربلاء مع صعوبة الاسفار ومشاقها وخطورتها في تلك العهود، ولذلك كانت كربلاء في عهد الخلافة الاموية والعباسية تشهد المظاهرات

الشيعية الكبرى في شهر محرم وصفر ولاسيما العاشر من محرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين. وكان المجتمعون يحتشدون بصمت امام القبر ويوحدون صفوفهم في قراءة الزيارات التي كانت عملية تثقيفية وراءها حكماء وعلماء احكموا فيها وضع الخطة التي تجمع الشيعة على خط واحد لا تنفصم عراه.

وحقاً كان المخططون في وضع تلك الزيارات عباقرة استطاعوا تفهم النفسية الشيعية في عهد الامويين والعباسيين تفهماً مطلقاً فجاءت تلك الزيارات وتداولها تداولاً عاماً في المواسم الخاصة بمثابة استمرار منظم في مقاومة الخلافة. وهكذا اصبح التثقيف المذهبي عن طريق تلك الزيارات عاماً وشائعاً وشاملاً رغماً عن ارادة السلطة الحاكمة. لقد حدث كل ذلك في عهد لم تعرف فيه الصحافة ولا المدارس العامة ولا الاعلام الشامل ولا وسائل الطباعة ولا التنظيمات الحزبية، ولذلك لا نجد غرابة عندما نعلم ان المتوكل العباسي منع الناس من زيارة الامام الحسين وأمر بحرث قبره حتى يخفي معالمه عن الناس.

واليوم وبعد ان انتهى كل شيء ولا يوجد للامويين ولا للعباسيين وخلافتهم اثر في العالم الاسلامي ولا لذلك التطاحن الفكري حول الخلافة والخلفاء فهل نحن معاشر الشيعة نرغب ان نسير في الطريق نفسه الذي سرنا عليه زهاء ثلاثة عشر قرناً ونقف امام قبور الائمة ونردد كلاماً رددناه قروناً وقروناً لا فائدة ترجى من وراءه ولا اثر يترتب عليه ؟ اللهم الا بعض المقاطع من الدعوات الخالصة التي تشكل جزءاً صغيراً من الزيارة فحسب. ثم الى متى سنفضل كلام المخلوق على الخالق ؟ وما هي الفائدة التي يجنيها الائمة انفسهم من قراءة هذه الخطب الرنانة امام قبورهم ؟

أليس من الافضل حقاً ان نأخذ بسنة النبي الكريم (ص) ونتلوا آيات من الذكر الحكيم امام قبور ائمتنا ؟ فان فيها الثواب والرحمة وفيها النور والهدى ليس للزائر فحسب بل حتى للمزور وان كان نبياً او اماما.

التصحيح

من كل ما اسلفناه يظهر بوضوح ان هذه الزيارات التي ملأت كتب الزيارة ويحتفظ بها كل شيعي في بيته ويقرأها عندما يدخل مشهداً من مشاهد اهل

البيت انها زيارات تثقيفية وضعت في عهد كانت الشيعة فيه بحاجة الى التثقيف المذهبي. واني لا اشك ان الامام علياً اذا كان يستمع الى بعض الفقرات التي جائت في تلك الزيارات وفيها اعطاء الائمة صفات تفوق صفات البشر وتكون قريبة من صفات الله او شريكة معه فقد كان يجري الحد على قارئها وواضعها على السواء.

وهنا اود ان اطلب من الشيعة في كل الارض ان تفكر ملياً في زيارتها لقبور الائمة بهذه العبارات التي لا تجدي خيراً لهم ولا للائمة كما اود ان احمل المسؤلية مرة اخرى على الزعامات المذهبية التي عودت الشيعة على هذا الطريق فحتى هذا اليوم لم اصادف مرجعاً من مراجع الشيعة وهو يدخل مشهداً من مشاهد الائمة يفضل قراءة القرآن الكريم على تلك الزيارات عندما يقف امام المشهد. ولست ادري لماذا نحن معاشر الشيعة نترك كلام الله ونركن الى كلام المخلوق وحتى على فرض صحة صدورها من الامام فلماذا نفضل كلامه على كلام الله ؟

واذا كان الغرض من الزيارة الحصول على ثواب الآخرة فقراءة القرآن الكريم تضمن ذلك الثواب، واذا كان الغرض منها اكرام الامام فقراءة القرآن تضمن له ذلك ايضاً.

وانني لعلى علم ويقين ان هذه النظرة التصحيحية ستواجه ذلك الجواب التقليدي الذي طالما سمعناه من فقهائنا ـ سامحهم الله ـ وهو ان هذه الزيارات وردت من ائمتنا فلابد انهم كانوا اعرف منا بالامر. ومع انني هنا لا استطيع ان اناقش ائمتنا وبيننا وبينهم حاجز الحياة والموت، ولكنني لو كنت في زمن الامام علي ابن محمد وكنت داخلاً معه الى مشهد الامام الحسين وسمعته يقرأ زيارة الوارث والجامعة وهو امام القبر لاجريت معه الحوار التالي :

انا : يا ابن رسول الله هل هذه الزيارة هي كلام الله ام كلام المخلوق ؟
الامام : كلام المخلوق.
لسألت ثانية : هل كلام المخلوق افضل من كلام الله ؟
الامام : كلام الله.

ولسألت مرة اخرى : فلماذا فضلت كلام المخلوق على كلام الله ولم تقرأ القرآن الكريم ؟

ولست ادري ماذا كان يجيب الامام عند الوصول الى هذه النقطة.

ان تصور مثل هذا الحوار لا يعني انني اعتقد صدور هذه الزيارات من ائمة الشيعة ولكنني ذهبت الى ابعد الاحتمالات لكي اسد الطريق على الذين يتذرعون بعمل الامام في كل شيء.
واختم هذا الفصل بحديث روتة كتب الصحاح عن رسول الله (ص)الذي قال:

« تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وسنتي ما ان
تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً.»

اما الشيعة فتروي :(١)

« تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي.
ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً.»

فما احسن وافضل واجمل للشيعة ان تأتمر بأمر رسول الله (ص). وتجمع بين كتاب الله والعترة في مكان واحد حسب الرواية التي ترويها عن رسول الله (ص).

---

١ ـ ذكر بعض كتب الصحاح ايضاً مثل الترمذي ما روته كتب الشيعة

ضرب القامات في يوم عاشوراء

لم تشوه ثورة مقدسة في التاريخ كما شوهت الشيعة ثورة الحسين بذريعة حب الحسين.

ضرب القامات في يوم عاشوراء

الضرورة تملي ان نفرد فصلاًخاصاً في ضرب السلاسل على الاكتاف وشج الرؤوس بالسيوف والقامات في يوم العاشر من محرم حداداً على الامام الحسين.

وبما ان هذه العملية البشعة لا زالت جزءاً من مراسيم الاحتفال باستشهاد الامام الحسين وتجري في ايران وباكستان والهند وفي النبطية بلبنان في كل عام وتكون السبب في حدوث صراع دموي بين الشيعة والسنة في اجزاء من الباكستان تذهب ضحيته المئات من الارواح البريئة من الفريقين، كان لابد من الاسهاب حولها بصورة مستقلة.

كما قلنا في فصل سابق ان الشيعة تحتفل بيوم عاشوراء منذ قرون عديدة وماعدا قراءة الزيارات التي اسهبنا في ذكرها كان الشعراء ينشدون قصائد امام القبر حتى ان الشاعر العربي الشريف الرضي عندما القى قصيدته العصماء امام قبر الحسين والتي جاء في مطلعها :

كربلاء لا زلت كرباً وبلا

ووصل الى هذا البيت :

كم على تربك لما صرعوا   من دم سال ومن قتل جرى

بكى وبكى حتى اغمي عليه. والثابت ان ائمة الشيعة كانوا يحتفلون بيوم العاشر من محرم فيجلسون في بيوتهم يقبلون التعازي من المعزين ويطعمون الطعام في ذلك اليوم، وكانت تلقى امامهم خطب أو قصائد في ذكرى شهادة الحسين واهل بيت رسول الله (ص) وفضائلهم.

وفي كربلاء وحول قبر الحسين كان الزوار يمرون على هيئة مواكب وآحاد وهم يقرأون الزيارات التي اشرنا اليها مع بكاء ونحيب كجزء مكمل للاحتفال والزيارة، انها العادة التي لازالت جارية في المجالس التي تقام للامام الحسين في العالم الشيعي فلابد من ختمها بالبكاء لان :

« من بكى او تباكى على الحسين وجبت عليه الجنة.»

كما جاء في بعض الروايات التي تنسب الى الائمة، ومعاذ الله ان يصدر من الامام كلاماً كهذا.

كما ان الشيعة كانت تلبس السواد في شهر محرم وصفر حداداً على الحسين، وهذه العادة اخذت بالتوسع في عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشيع وعندما اخذت تظهر الشيعة على مسرح الاحداث السياسي والاسلامي كقوة تريد الاطاحة بالخلافة الحاكمة وكان للبويهيين الذين حكموا ايران والعراق بأسم حماة الخلافة العباسية دوراً بارزاً في تنمية الاحتفالات في ايام عاشوراء ولكن هذه الاحتفالات اخذت طابعاً عاماً واصبحت جزءاً من الكيان الشيعي عندما استلم السلطة الشاه اسماعيل الصفوي وادخل ايران في التشيع وخلق فيها تماسكاً مذهبياً للوقوف امام اطماع الخلافة العثمانية المجاورة لايران كما اشرنا اليه. وكان البلاط الصفوي يعلن الحداد في العشر الاول من محرم من كل عام، ويستقبل الشاه المعزين في يوم عاشوراء، وكانت تقام في البلاط احتفالات خاصة لهذا الغرض تجتمع فيها الجماهير ويحضرها الشاه بنفسه، كما ان الشاه عباس الاول الصفوي الذي دام حكمه خمسين عاماً وهو اكبر الملوك الصفويين دهاء وقوة وبطشاً كان يلبس السواد في يوم عاشوراء ويلطخ جبينه بالوحل حداداً على الامام الحسين وكان يتقدم المواكب التي كانت تسير في الشوارع مرددة الاناشيد في مدح الامام ثم التنديد بقتلته.

ولا ندري على وجه الدقة متى ظهر ضرب السلاسل على الاكتاف في يوم عاشوراء وانتشر في اجزاء من المناطق الشيعية مثل ايران والعراق وغيرهما ولكن الذي لاشك فيه ان ضرب السيوف على الرؤوس وشج الرأس حداداً على الحسين في يوم العاشر من محرم تسرب الى ايران والعراق من الهند وفي ابان الاحتلال الانجليزي لتلك البلاد وكان الانجليز هم الذين استغلوا جهل الشيعة وسذاجتهم وحبهم الجارف للامام الحسين فعلموهم ضرب القامات على الرؤوس.

وحتى الى عهد قريب كانت السفارات البريطانية في طهران وبغداد تمول المواكب الحسينية التي كانت تظهر بذلك المظهر البشع في الشوارع والازقة، وكان الغرض وراء السياسة الاستعمارية الانجليزية في تنميتها لهذه العملية البشعة واستغلالها ابشع الاستغلال هو اعطاء مبرر معقول للشعب البريطاني وللصحف الحرة التي كانت تعارض بريطانيا في استعمارها للهند ولبلاد

اسلامية اخرى واظهار شعوب تلك البلاد بمظهر المتوحشين الذين يحتاجو
الى قيِّم ينقذهم من مهامه الجهل والتوحش فكانت صور المواكب الت
تسير في الشوارع في يوم عاشوراء وفيها الآلاف من الناس يضربو
بالسلاسل على ظهورهم ويدمونها وبالقامات والسيوف على رؤوسہ
ويشجونها تنشر في الصحف الانجليزية والاوروبية، وكان السا
الاستعماريون يتذرعون بالواجب الانساني في استعمار بلاد تا
هي ثقافة شعوبها ولحمل تلك الشعوب على جادة المدنية والتقد

وقد قيل ان ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي في عهد الاحتلا
الانجليزي للعراق عندما زار لندن للتفاوض مع الانجليز لانهاء عهد الانتداب ق
له الانجليز : نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي كي ينهض بالسعا
وينعم بالخروج من الهمجية. ولقد اثار هذا الكلام ياسين الهاشمي فخرج ،
غرفة المفاوضات غاضبا، غير ان الانجليز اعتذروا منه بلباقة ثم طلبوا منه بكـ
احترام ان يشاهد فيلماً وثائقياً عن العراق، فاذا به فيلم عن المواكب الحسيذ
في شوارع النجف وكربلاء والكاظمية تصور مشاهد مروعة ومقززة ء
ضرب القامات والسلاسل وكأن الانجليز قد ارادوا ان يقولوا له هل ان شا
مثقفاً له من المدنية حظ قليل يعمل بنفسه هكذا ؟

وهنا اذكر كلاماً طريفاً مليئاً بالحكمة والافكار النيِّرة سمعته من احد اعلا
الشيعة ومشايخهم قبل ثلاثين عاماً. لقد كان ذلك الشيخ الوقور الطاعن ف
السن واقفاً بجواري وكان اليوم هو العاشر من محرم والساعة اثنتي عشرة ظه
والمكان هو روضة الامام الحسين في كربلاء، واذا بموكب المطبرين الذي
يضربون بالسيوف على رؤوسهم ويشجونها حداداً وحزناً على الحسين دخا
الروضة في اعداد غفيرة والدماء تسيل على جباههم وجنوبهم بشكل مقز
تقشعر من رؤيته الابدان، ثم اعقب الموكب موكب آخر وفي اعداد غفيرة ايض
وهم يضربون بالسلاسل على ظهورهم وقد ادموها، وهنا سألني الشيخ العجو
والعالم الحر :
ما بال هؤلاء الناس وقد انزلوا بأنفسهم هذه المصائب والآلام ؟

قلت : كأنك لا تسمع ما يقولون، انهم يقولون « واحسيناه » اي لحزنهم عل
الحسين.
ثم سألني الشيخ من جديد : أليس الحسين الآن في « مقعد صدق عند مليا

مقتدر »؟
قلت : نعم .
ثم سألني مرة اخرى : اليس الحسين الآن في هذه اللحظة في الجنة « التي عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين » ؟
قلت : نعم . ثم سألني : أليس في الجنة « حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » ؟
قلت : نعم .
وهنا تنفس الشيخ الصعداء وقال بلهجة كلها حزن والم : ويلهم من جهلة اغبياء لماذا يفعلون بأنفسهم هذه الافاعيل لاجل امام هو الآن في « جنة ونعيم ويطوف عليه ولدان مخلدون بأكواب واباريق وكأس من نعيم.»

في عام ١٣٥٢ هجري وعندما اعلن كبير علماء الشيعة في سوريا السيد محسن الامين العاملي تحريم مثل هذه الاعمال وابدى جرأة منقطعة النظير في الافصاح عن رأيه وطلب من الشيعة ان يكفوا عنها لاقى معارضة قوية من داخل صفوف العلماء ورجال الدين الذين ناهضوه ووراءهم « الهمج الرعاع » على حد تعبير الامام علي. وكادت خطواته الاصلاحية تفشل لولا ان تبنى جدنا السيد ابو الحسن وبصفته الزعيم الاعلى للطائفة الشيعية موقف العلامة الامين ورأيه في تلك الاعمال معلناً تأييده المطلق له ولفتواه.

ولقد اعطى موقف جدنا بعداً كبيراً للحركة الاصلاحية التي نادى بها السيد الامين، ومع ان كثيراً من الفقهاء والمجتهدين وقفوا موقفاً معارضاً للسيد ابو الحسن كما وقفوا للامين من قبل الا ان السيد ابو الحسن تغلب على الجميع في آخر المطاف بسبب مقامه الرفيع وصموده. واخذت الجماهير تطيع فتوى الزعيم الاكبر وبدأت تلك الاعمال تقل رويداً رويدا وتختفي من على الساحة الشيعية الا انها لم تندثر تماماً حيث بقيت لها مظاهر ضعيفة وهزيلة حتى ان توفي جدنا رحمه الله في عام ١٣٦٥ هجري واخذت بعض الزعامات الشيعية الجديدة تحث الناس على تلك الاعمال من جديد فبدأت تنمو مرة اخرى في العالم الشيعي ولكنها لم تصل الى ما كانت عليه قبل عام ١٣٥٢ هجري.

وبعد ان اعلنت في ايران الجمهورية الاسلامية وتولت ولاية الفقيه السلطة صدرت الاوامر باحياء تلك الاعمال كجزء من السياسة المذهبية واخذت الجمهورية الاسلامية الفتية تساعد الفئات الشيعية في كل الارض وتحثهم

مالياً ومعنوياً لاحياء هذه البدعة التي ادخلتها السياسة الاستعمارية الانجليزية الى العالم الاسلامي الشيعي قبل مائتي عام وذلك لتظهر وجه الاسلام والمسلمين بالمظهر الكالح وتبرر استعمارها لبلاد الاسلام كما قلنا من قبل.

وعندما اكتب هذه السطور تشاهد المدن الايرانية والباكستانية والهندية واللبنانية مع الاسف الشديد في يوم العاشر من محرم من كل عام مواكباً تسير في شوارعها بالصورة التي رسمناها، وقبل ان تنتهي ساعات ذلك اليوم فان صوراً من تلك الهمجية الانسانية والجنون المفزع تعرض على شاشات التلفزة في شرق الارض وغربها لتعطي قوة لاعداء الاسلام والمتربصين بالاسلام والمسلمين معا.

التصحيح

ان على الطبقة المثقفة من الشيعة الامامية ان تبذل قصارى الجهد لمنع الجهلة من القيام بمثل هذه الاعمال التي مسخت وشوهت ثورة الامام الحسين. وعلى الوعاظ والمبلغين ان يقوموا بدور اكثر وضوحاً ورؤية، والحقيقة التي اود ان اذكرها بكل صراحة ووضوح هي ان السبب الذي حدا بالحسين للاستشهاد في يوم عاشوراء كان اعلى وأجل بكثير من الصورة التي ترسمها الشيعة عن ذلك. فالحسين لم يستشهد لتبكي الناس عليه وتلطم الخدود وتصوره بالبائس المسكين وانما اراد الامام ان يعطي درساً بليغاً في الايثار عن النفس والحزم والعزم والشجاعة في مقارعة الظلم والاستبداد. فلذلك ان الاحتفال في شهادة الامام الحسين ينبغي ان يكون احتفالا يتناسب مع مقام الحسين بعيداً عن الغوغاء والجهلة والاعمال التي تضحك وتبكي في آن واحد. وما اجمل الاحتفالات التثقيفية التي فيها تلقى الخطب والقصائد البليغة وسيرة الرسول واهل بيته وصحابته في الجهاد والتضحية في سبيل الله.

وهكذا يجب ان نبني انفسنا في ذكرى الحسين لا ان نهدمها ويجب ان نعطي للحسين حقه في ساحة النضال لا ان نشوهه ونسيء اليه. هذا ان كنا حقاً من انصار الحسين ومحبيه.

الشهادة الثالثة

اجمع فقهاء الشيعة على ان من قال الشهادة الثالثة بقصد (الورود) فقد عمل عملا محرما.

الشهادة الثالثة

يقول السيد المرتضى وهو من اكابر علماء الشيعة الامامية فى القرن الخامس الهجري ان من قال في اذان الصلوات « اشهد ان علياً ولي الله » فقد اتى بعمل محرم. ومن هذا الرأي يبدو لي ان الشهادة الثالثة دخلت في اذان الصلوات بعد الغيبة الكبرى ولكنها لم تظهر ظهوراً رسمياً على مسرح الاحداث المذهبية الا بعد ان ادخل الشاه اسماعيل الصفوي ايران في التشيع وامر المؤذنين بادخال الشهادة الثالثة في آذان الصلوات ومن على المآذن. وهكذا اعطي للامام علي موقعه الثابت بعد رسول الله (ص) في الخلافة. ومنذ ذلك الحين ومساجد الشيعة في العالم تسير على الطريقة التي نمّاها ووسعها الشاه الصفوي لا نستثني مسجداً واحداً من مساجد الشيعة في شرق الارض وغربها.

ومن الغريب في هذه الظاهرة ان فقهاءنا ـ سامحهم الله ـ يجمعون اجماعاً مطلقاً وتاماً على ان هذه الشهادة ادخلت في آذان الصلوات في وقت متأخر وانها لم تكن معروفة حتى القرن الرابع الهجري وانهم يجمعون ايضاً على ان الامام علياً اذا كان على قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر في آذان الصلوات لكان يجري الحد الشرعي على من يقول ذلك.

ومع كل هذا لم يمنع احد من فقهائنا الشهادة الثالثة فحسب بل وقفوا موقف المعارض لتلك القلة القليلة من فقهائنا الذين عارضوا هذه البدعة ورموهم بالخروج من التشيع والبراءة من علي واولاده، وخذلوهم خذلاناً وبيلا تقتفيهم العوام والجهال بذلك.

وهنا تظهر تلك العصبية العمياء التي تسود قلوب بعض الفقهاء والجهال معاً حيث يكون بعضهم لبعض ظهيرا.

لقد سئمت حقاً من المجادلة في هذه المسألة مع فقهائنا فهناك اجوبة تعودوا عليها منذ قرون خلت ولا جديد فيها فهم يقولون ان الشهادة الثالثة ليست جزءاً من الصلاة حتى تفسدها فلذلك لا مانع من ادخال الشهادة الثالثة فيها.

وقد قلنا لهم ان المسألة ليست ما اذا كانت الشهادة الثالثة جزءاً من الصلاة ام

لا بل هو اخطر من ذلك بكثير فالآذان صيغة اقرها الرسول (ص) فصارت سنة توقيفية لا يجوز الحذف منها ولا الاضافة اليها حتى لو كانت للكلمات الاضافية موقع من الصحة والصدق والحقيقة.

ثم قالوا : ان الشهادة الثالثة اصبحت شعاراً للشيعة.

فقلنا لهم : ان شعار الاسلام اهم من شعار التشيع، وهل ان الشيعة شيء والاسلام شيء آخر حتى تحتاج الى شعار تعرف به ؟

وهنا ارادوا ان يلقوا المسؤلية على عاتق غيرهم فقالوا :

لا نستطيع ان نطلب من الشيعة رفض الشهادة الثالثة في آذان الصلوات لأنها اصبحت جزءاً من كيانها وهي متعلقة بها تعلق الطفل بثدي امه فكلامنا يذهب هباء منبثا.

قلنا لهم : لو انكم اجتمعتم على رأي واحد وبينتم حكم الله بصراحة وشجاعة لم يتخلف عنه اثنان. ثم ان واجبكم هو بيان حكم الله وليس تنفيذه.

وقالوا ايضاً : ان الخليفة عمر ابن الخطاب رفع من الآذان حي على خير العمل وجعله الصلاة خير من النوم.

قلنا لهم : اولا الجواب النقضي لا يغني من الحق شيئاً ثم لو صح هذا الأمر لما اقره الامام علياً في عهد خلافته وامر باستبدال الجملة بغيرها، وفي منطقكم عمل الامام حجة على صحتها. ثم ايضاً ان المجمع عليه عندكم ان الشهادة الثالثة لم تكن موجودة في عهد الرسول (ص) ولا الائمة وانها اضيفت الى الآذان في وقت متأخر.

ولكن عبارة « الصلاة خير من النوم » امر اختلافي فالفرق الاسلامية ما عدا الشيعة تجمع على انها وردت في عهد الرسول (ص) بخلاف الشيعة التي تنسبها الى الخليفة عمر ابن الخطاب، والفرق كبير بين مسألة اجماعية لا يختلف عليها اثنان ومسألة اختلافية فيها آراء مختلفة ومتضاربة.

التصحيح

انني لا اشك ابداً ان الشهادة الثالثة والتي اصبحت الآن جزءاً من آذان الصلاة عند الشيعة في مساجدها قد تجاوزت عمل الفرد واخذت طابعاً عاطفياً واجتماعياً ومذهبياً ليس من السهل تغييره ولاسيما وان هناك في المنطقة دولة

مذهبية تنمي العواطف المذهبية وتستغلها في صراعها السياسي مع دول المنطقة المجاورة التي معظم سكانها من السنة. ولذلك تلاقي عملية التصحيح داخل ايران صعوبة بالغة شأنها شأن سائر الخطوات الاصلاحية التي ناديت بها.

وقد يأتي يوم يتغير فيه نظام الجمهورية الاسلامية المتطرف في ايران الى نظام معتدل تكون مبادئه وحدة المسلمين ومصلحة الاسلام فحينئذ تكون الاستجابة لنداء التصحيح حتى في الشهادة الثالثة امراً طبيعياً. ولكن في الوقت الحاضر يجب علينا ان نطلب من الشيعة في اي مكان آخر من الارض يصله نداء التصحيح ان تسعى جاهدة للعودة الى الآذان الذي كان شائعاً في عهد الرسول (ص) والامام علي وائمة الشيعة وان الواجب الملقى على عاتق الطبقة الواعية والمثقفة من ابناء الشيعة ان تؤدي دورها في الاصلاح وتصحيح المذهب الذي تنتمي اليه.

ومرة اخرى وانا ابدي يأساً وقنوطاً من فقهائنا ان يقولوا الحق ويقفوا معنا في هذا الخندق، بل هم بالعكس من ذلك من اشد الناس تأييداً لهذه البدعة والعمل بها في مساجدهم.

فوالله لو كان الامام علي على قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر على المآذن في آذان الصلاة لأجرى الحد على المسبب والمباشر معاً فما بالنا نحن نؤدي عملا في سبيل علي وهو لا يرتضيه!

ومرة اخرى نطالب الشيعة في الحركة التصحيحية ان تعود الى الأذان الذي اذنه بلال الحبشي في مسجد رسول الله (ص) وفي حضور رسول الله (ص) وصحابته بما فيهم عليا، وان يطلبوا من المؤذنين في مساجد الشيعة ان يلتزموا بذلك، فاذا ما التزم المؤذنون به في المساجد فانه يفتح طريقه الى ابعد من ذلك ويدخل الى البيوت الشيعية كما دخل في بيت علي والزهراء من قبل.

الزواج المؤقت

كيف تستطيع امة تحترم شرف الامهات اللواتي جعل الله الجنة تحت اقدامهن وهي تبيح المتعة او تعمل بها.

الزواج المؤقت

يقصد بالمتعة الزواج المؤقت الذي تعمل به الشيعة في ايران وقد يُعمل به فم
مناطق اخرى حيثما توجد فيها لو استطاعت اليه سبيلاً. وهنا اريد ان اقول ا
الدخول في الجدل الفقهي العقيم الذي مرت عليه قرون عديدة وحفظته بطو
الكتب الفقهية والتفاسير وسواها لا فائدة ترتجى من ورائه. ولكنني مع كل هـ
اود ان اضع صورة مختصرة امام القراء عن هذا النزاع الفقهي واعرج بعد ذلا
على الاخطار الهائلة التي تحدق بالشيعة اجتماعياً واخلاقياً وانسانياً اذا لم تنب
هذه الفكرة السيئة من اساسها. وانا احمل الفقهاء المسؤلية الاولى والاخير
في سوق الشباب من ابناء الشيعة الى هذا الدرب الشائك المشين، وعلى
عاتقهم تقع المسؤلية كل المسؤلية.

يقول فقهاء الشيعة ـ سامحهم الله ـ ان المتعة كانت مباحة في عه
الرسول الكريم (ص) وفي عهد الخليفة ابي بكر وفي شطر من عهد الخليف
عمر ابن الخطاب حتى ان حرمها وامر المسلمين بالكف عنها، وهم يستدلون
على ذلك بروايات عديدة رويت في كتب الشيعة وبعض كتب السنة.

اما الفرق الاسلامية الاخرى فتقول انها كانت عادة جاهلية عمل الناس بو
في السنوات الاولى من عصر الرسالة حتى ان أمر النبي (ص) بتحريمها فم
يوم خيبر او في حجة الوداع شأنها شأن الخمر الذي حُرِّم بعد سنوات مز
بعثة النبي الكريم ونزلت فيه آيات التحريم.

هذه هي خلاصة النزاع الفقهي والجدل الذي يدور حول المتعة منذ اكثر مز
الف عام.

ومن المؤسف حقاً ان بعض اعلام الشيعة انبرى للدفاع عن الزواج المؤقت
والفوا في ذلك الكتب وهم بذلك فخورون ورافعون الرؤوس. ولا اعتقد انني
احتاج الى عناء كثير لتوضيح الصورة الحقيقية لهذه البدعة المخلة بالذوق
والكرامة ولكنني قبل ذلك اود ان افند النظرية الفقهية التي تقول بالجواز ثم
اعرج على اكثر من ذلك لترى الشيعة فداحة الخطب وعظمة المصيبة.

ان الزواج المؤقت او المتعة حسب العرف الشيعي وحسبما يجوزه فقهائنا
هو ليس اكثر من اباحة الجنس بشرط واحد فقط وهو ان لا تكون المرأة في

عصمة رجل وحينئذ يجوز نكاحها بعد اداء صيغة الزواج التي يستطيع الرجل ان يؤديها في كلمتين ولا تحتاج الى شهود او انفاق عليها وللمدة التي يشاؤها مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه وهو الجمع بين الف زوجة بالمتعة تحت سقف واحد.

ان النظرية الفقهية القائلة بأن المتعة حُرِّمت بأمر من الخليفة عمر ابن الخطاب يفندها عمل الامام علي الذي اقر التحريم في مدة خلافته ولم يأمر بالجواز وفي العرف الشيعي وحسب رأي فقهائنا عمل الامام حجة لاسيما عندما يكون مبسوط اليد ويستطيع اظهار الرأي وبيان أوامر الله ونواهيه. والامام علي كما نعلم اعتذر عن قبول الخلافة واشترط في قبولها ان يكون له اجتهاده في ادارة الدولة. فاذن اقرار الامام علي للتحريم يعني انها كانت محرمة منذ عهد الرسول (ص) ولولا ذلك لكان يعارضها ويبين حكم الله فيها وعمل الامام حجة على الشيعة ولست ادري كيف يستطيع فقهائنا ان يضربوا بها عرض الحائط.

وكما قلنا قبل قليل سأترك الجدل الفقهي جانباً لنلقي نظرة فاحصة على المتعة من زوايا اخرى بالغة الاهمية ثم اضع الصورة امام الطبقة المثقفة الواعية المنصفة من ابناء الشيعة الامامية الذين عليهم اتوكأ في تطبيق التصحيح وفيهم الامل وعليهم الرجاء في قيادة مسيرة التصحيح والاصلاح.
ان الاسلام الذي جاء لتكريم الانسان كما تقول الآية :

«ولقد كرَّمنا بني آدم.» الاسراء ٧٠

ويقول رسول الاسلام (ص):

« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق.»

هل يقضي بقانون فيه من اباحة الجنس والحط من كرامة المرأة ما لا نجده حتى لدى المجتمعات الاباحية في التاريخ القديم والحديث ؟ وحتى لويس الرابع عشر في قصره بفرساي وسلاطين الاتراك وملوك الفرس في قصورهم لم يجسروا عليها.

وبني آدم في الآية الكريمة يشمل الرجل والمرأة على السواء والاخلاق التي جاء رسول الله (ص) ليتم مكارمها للجنسين على السواء، فأين يكون موقع المرأة وكرامتها والاحتفاظ بأخلاقها من قانون المتعة ؟ ان موقعها من هذا القانون هو الذل والهوان وشأنها كالسلعة التي يستطيع الرجل ان يكدسها واحدة فوق الاخرى وبلا عد ولا حد. ان المرأة التي شرفها الله ان تكون اماً

تنجب اعظم الرجال والنساء على السواء ومنحها مرتبة لم يمنحها لغيرها حيث جعل الجنة تحت اقدامها كما قال الرسول الكريم (ص)

« الجنة تحت اقدام الامهات »

هل يليق بها ان تقضي اوقاتها بين احضان الرجال واحداً بعد الآخر باسم شريعة محمد ؟

لقد اراد بعض فقهائنا ـ سامحهم الله ـ ان يصوروا المتعة وكأنها فضل من الله حيث شرَّع قانوناً شرعياً يمنع الرجل من الوقوع في البغاء ولكن غرُب عن بالهم ان الاسلام ليس دين الرجال فحسب بل انزل للناس كافة بما فيها النساء، وان القوانين الالهية والشرائع السماوية لم تنزل لارضاء شهوات الناس واشباع غرائزهم تحت غطاء الشرعية والقانون.

ان الاسلام جاء ليخرج الناس من اباحية الجاهلية ويقيدهم بالفضيلة والاخلاق لا ان يمنح الجاهلية ومظاهرها قداسة التشريع والقانون الالهي.

ان الاسلام الذي حرَّم الجمع بين اكثر من اربعة ازواج وجعل في تعدد الزوجات شرطاً من اقسى الشروط كما تصرح به الآية الكريمة :

« وان خفتم الا تعدلوا فواحدة.» النساء ٣

والعمل بالعدالة بين الازواج امر صعب ويكاد يكون عسيراً في بعض الاحيان وقد يستفاد من وضع شرط كهذا هو تقييد الرجل كي لا يسلك طريق التعدد ويسير في وادي الشهوات اكثر مما تقتضيه الطبيعة الانسانية والحاجة البشرية وتنظيم الاسرة والنسل ومصلحة الامة. ومن هنا جاء التشديد في الكره من الطلاق كما قال رسول الله (ص) :

« ان ابغض الحلال عند الله الطلاق.»

وقيَّد الطلاق بشروط وقيود عسيرة منها حضور شاهدين عادلين حتى يقع الطلاق.

ان ديناً سماوياً هذا هو موقفه الصريح والثابت من الزواج وشروطه هل يعقل ان يناقض قانونه هذا بوضع قانون آخر فيه من الاباحية المطلقة ما تزلزل السموات والارض ويجعل للناس الخيار فيهما ؟

وهنا اضع امام القارئ صورتين للزواج احدهما متفق عليه عند المسلمين جميعاً بما فيهم الشيعة وهو الزواج الدائم والثاني هو الزواج المؤقت او المتعة والذي يفتي بجوازه فقهاء الشيعة الامامية فقط واطلب من الشيعة ان يقولوا كلمتهم فيه :

شروط الزواج الدائم المتفق عليه لدى المسلمين كافة	الزواج المؤقت المتفق عليه عند الشيعة الامامية فقط
١ـ يتم الزواج بين الزوجين بتلفظ صيغ العقد امام شاهدين.	١ـ يتم الزواج بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد.
٢ـ يجب على الزوج نفقة الزوجة بما فيها المسكن والملبس.	٢ـ الرجل في حل من نفقة الزوجة.
٣ـ لا يجوز للرجل ان يجمع اكثر من اربعة ازواج وبشروط صعبة.	٣ـ يجوز للرجل الجمع بين اعداد لا تحصى وبلا شرط.
٤ـ الزوجة ترث الزوج في حالة الوفاة.	٤ـ الزوجة لا ترث الزوج.
٥ـ موافقة الاب شرط في صحة زواج الباكر.	٥ـ موافقة الاب ليس شرطاً في كل الاحوال.
٦ـ مدة الزواج الدائم ديمومة الزوجين على قيد الحياة.	٦ـ مدة الزواج المؤقت قد تكون لربع ساعة وقد تكون ليوم وقد تكون لتسعين عاماً وحسب ما يقترحه الرجل وتقبله المرأة.

شروط الفسخ	شروط الفسخ
١ـ يقع الطلاق بحضور شاهدين عدلين وبتلفظ صيغة الطلاق.	١ـ يقع الطلاق واسمه فسخ العقد بدون حضور شاهدين وبكلمة فسخت او وهبت المدة.
٢ـ عدة الطلاق بالنسبة للمرأة ثلاثة شهور وعشرة ايام.	٢ـ عدة فسخ المدة بالنسبة للمرأة هو عدة الجارية بعد عتقها، اي نصف عدة الحرة.
٣ـ الطلاق لا يقع اذا كانت المرأة في حالة قرء.	٣ـ الفسخ يقع في كل الاحوال.
٤ـ يجب على الزوج نفقة الزوجة المطلقة في مدة عدتها.	٤ـ الرجل في حل من نفقة الزوجة في عدة الفسخ.

ان نظرة فاحصة على هذا الجدول الذي رسمناه تغنينا عن الاسهاب في المتعة من المفاسد والمخاطر الاجتماعية واعتقد جازماً ان نداء التصحيح سيجمع حوله من ابناء الشيعة كل من كان له قلب او عقل يستطيع ان يدرك بهما فداحة الخطب والهوان والسخرية في امر هو اظهر من ظهور الشمس في منتصف النهار.

التصحيح

المسألة هنا اخطر بكثير من التصحيح. انها حالة مذهلة من السوء دخلت الى الفكر الشيعي وحتى الروايات التي تقول بالحلية سواء ان ذكرتها كتب الشيعة او غيرها وحتى التي تقول انها كانت مباحة حتى ان حرمها الخليفة عمر ابن الخطاب اعتبرها كلها روايات تشوه صورة الاسلام المضيئة. وقد ادركت الفرق الاسلامية الاخرى خطورة الفكرة ومفاسدها الاجتماعية والاخلاقية الكبيرة فوقفت منها موقفاً يتسم بالحق والعدل والفضيلة. اما فقهاؤنا فلم يدركوا خطورة الفكرة او ادركوها ولكن حرصاً منهم على مخالفة جمهور المسلمين التي وضعت في فضلها رواية نسبت الى الامام الصادق زوراً وبهتاناً والتي تقول : « الرشد في خلافهم » اي الرشد في خلاف رأي السنة والجماعة، احلوا المتعة اللعينة المقيتة واجازوها.

واضافة الى هذه العقدة المستعصية لدى فقهائنا في استنتاجاتهم الفقهية فان فكرة الزواج المؤقت على ما يبدو لي استخدمت في حث الشيعة ولا سيما الشباب منهم للالتفاف حول المذهب لما فيها من امتيازات خاصة لا تقرها المذاهب الاسلامية الاخرى. ولا شك ان الاغراء الجنسي المباح باسم الدين يستقطب الشباب واصحاب النفوس الضعيفة في كل عصر ومصر، ولذلك فاني لا استغرب ابداً عندما اقرأ في كتب رواياتنا روايات تنسب الى ائمتنا في فضل المتعة وثوابها وحث الناس على العمل بها. وموقفي من هذه الروايات واضح وصريح اشرت اليه في مواطن عديدة من الكتاب.

وهمنا كله يتجه الى خلاص الامة الشيعية منها باذن الله وارادته، وانني عندما اكتب هذه السطور لا ينتابني اليأس ولو للحظة واحدة بالنسبة لمستقبل الشيعة وموقفها من التصحيح والركون المطلق الى مبادئه.

نعم قد يلاقي التصحيح صعوبات في باديء الامر ولكن كلمة الحق تشق طريقها في آخر الامر، وان التفاف الطبقة الواعية المثقفة التي تستطيع ان تجرد نفسها من الرواسب الفكرية التي لقنتها بها الاباء والامهات والفقهاء والمشايخ يكون خير ضمان لمستقبل الشيعة في العالم.

واعود مرة اخرى الى الزواج المؤقت واسأل الفقهاء الذين يفتون بجواز المتعة واستحباب العمل بها، هل انهم يرضون شيئاً كهذا بالنسبة لبناتهم واخواتهم وقريباتهم ام انهم اذا سمعوها اسودت وجوههم وانتفخت اوداجهم ولم يكظموا لذلك غيظاً ؟

لقد اراد العالم الكبير السيد محسن الامين العاملي ان يدافع عن كلام قريب لما ذهبت اليه بقوله : « اذا كانت المتعة مباحاً فلا يلزم ان يفعلها كل احد فكم من مباح ترك تنزهاً ترفعاً .» (١)

ولكنني اقول : ان من الواضح ان المسألة ليست بهذه الصورة اي الذين لا يرتضونها لبناتهم واخواتهم وقريباتهم ليس في حدود التنزه والترفع بل لانهم يرون فيها امراً مهيناً مشيناً يتنافى وكرامة العائلة وشرف الاسرة وقد تسيل الدماء في بعض المناطق الشيعية اذا ما سأل المرء شيئاً كهذا من فقيه هو سيد قومه وحتى في ايران حيث تكون العملية جارية في بعض مدنها توجد مناطق لا يستطيع المرء ان ينبس بكلمة حول المتعة. اما في غير ايران ولاسيما في البلاد العربية التي تقطنها الشيعة فالحديث عن المتعة مهلك ويؤدي الى اسالة الدماء. ولست ادري تفاصيل الامر في باكستان والهند وافريقيا ولكن في كل هذه المناطق لا يغير الفقيه فتواه فهو يجوزها اذا ما سأل عنها ولكنه يخضع للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها فتثور ثورته ويقيم الدنيا ويقعدها اذا ما طلب منه يد ابنته بالزواج المؤقت. وهكذا نرى بوضوح ان المسؤلية الاولى والاخيرة في العمل بهذا الامر المقيت تقع على عاتق الذين اباحوا اعراض المسلمات ولكنهم احصنوا اعراضهم واهدروا شرف المؤمنات ولكنهم صانوا شرف بناتهم. وفي كل هذا عبرة لمن كان له قلب.

١ــ الشيعة بين الحقيقة والاوهام ص ٣٥٧ .

السجود على التربة الحسينية

السجدة على التربة الحسينية ظهرت في العصر الثاني من الصراع بين الشيعة والتشيع ثم امتدت نحو آفاق اوسع عمت الشيعة جميعاً.

السجود على التربة الحسينية

قلما يوجد بيت للشيعة لا توجد فيه التربة التي تسجد عليها الشيعة في صلواتها وهي من تراب كربلاء المدينة التي استشهد الحسين فيها ورفاته الطاهرة مدفونة فيها.

وانني اعلم جيداً ما يقوله فقهاؤنا حول السجود على التربة الحسينية حيث فرقوا بين ما يسجد له وما يسجد عليه. وان السجود على التربة ليس سجوداً لها بل سجوداً عليها لان السجدة في المذهب الشيعي لا يجوز ان تكون الا على التراب ومشتقاته ولا يجوز السجدة على الملبوس والمخيوط والمأكول.

ان السجود على التربة الحسينية كما نعرفها بل يعرفها الشيعة انفسهم لا تتوقف عند هذا الحد الفقهي او انه سجود على التراب وحسب بل المسألة ابعد من ذلك بكثير، فكثير من الذين يسجدون على التربة يقبلونها ويتبركون بها وفي بعض الاحيان يأكلون قليلا من تربة كربلاء للشفاء في حين ان اكل التراب حرام في الفقه الشيعي ثم انهم صنعوا من التراب هيئات مختلفة يحملونها في جيوبهم وينقلونها معهم في اسفارهم ويعاملونها معاملة تقديس وتكريم.

وحتى كتابة هذه السطور هناك ملايين من الشيعة في شرق الارض وغربها تلتزم بالسجود على تربة كربلاء ومساجدها مليئة بها، ويعملون بالتقية عندما يقيمون الصلاة في مساجد الفرق الاسلامية الاخرى حيث يخفونها ولا يظهرونها خوفاً من اعتراض غيرهم عليها. وقد التبس الامر على كثير من غير الشيعة فظنوا ان هذه التربة اصنام تسجد الشيعة عليها وقد كادت الفتن تحدث في مساجد بلاد لم تعرف شيئاً عن التربة الحسينية ومظاهرها ولست ادرى متى دخلت هذه البدعة في صفوف الشيعة فالرسول الكريم (ص) ما سجد قط على تربة كربلاء ولا الامام علي ولا الأئمة من بعده سجدوا على شيء اسمه تربة كربلاء. وتقديس التراب لم يكن شيئاً مألوفاً عند المسلمين. ومن الجائز ان هذه الظاهرة اخذت في التوسع منذ عهد الصفويين وعندما اخذت القوافل تزور كربلاء في مراسيم خاصة وتعود محملة بآثار من قبر الامام الحسين.

وهناك بدعة اخرى اضيفت الى استعمال التربة تتجاوز البدع الاخرى انها

فتوى الفقهاء بجواز اقامة الصلاة التمام للمسافرين بدلا من القصر عندما يكونوا في الحائر الحسيني بخمسة عشر ذراعاً حول القبر.ومن المجمع عليه عند فقهائنا ان الواجب على المسافر هو اتيان الصلاة قصراً ولكنهم استثنوا الحائر الحسيني من هذه القاعدة. ولست ادري كيف استطاع فقهاؤنا ـ سامحهم الله ـ الاجتهاد في امر لم يكن لموضوعه ومحموله اثر في عهد الرسول الكريم (ص) وبعد ان اكملت الشريعة الاسلامية وتوفي الرسول (ص) وانقطع الوحي فيا ترى ان الرسول (ص) اجاز للمسافر الخيار بين القصر والاتمام في حائر الحسين قبل ان يكون هناك شيء بهذا الاسم : ام ان قانوناً الهياً شرع لموضوع لم يكن له اثر في وقته ؟

نعم ان هناك روايات تنسب الى ائمة الشيعة تقول بمثل هذا الخيار للمسافر وعلى تلك الروايات بنى فقهاؤنا فتاواهم التي افتوا بها.

وقد تعني هذه الفكرة الخطيرة ان الامام عند فقهائنا يكون مصدر التشريع لا كما كان المتشيعون لاهل البيت يعتقدون في الائمة قبل ظهور الصراع بين الشيعة والتشيع وعندما كان التشيع يعني ان ائمة اهل البيت ادرى بأحكام الاسلام من غيرهم لأن في بيتهم نزل الكتاب كما اشرنا اليه اكثر من مرة. ومن المؤسف حقاً ان وجود فكرة كهذه تخالج قلوب كثير من فقهائنا وان لم يبيحوا بها والا فماذا يعني الفتوى بجواز الخيار للمسافر بين القصر والاتمام في صلواته عندما يكون في حائر الحسين ؟ وعلى اي اساس او قاعدة شرعية امتاز الحائر الحسيني بهذا الامتياز ونزل فيه حكم الهي وسماوي قبل وجود الحائر بنصف قرن ؟

ومرة اخرى نكرر القول بأن الطريق الوحيد للخلاص من هذا التخلف الفكري العميق الذي احاط بنا قروناً ويحيط بنا من كل جانب حتى في يومنا هذا هو غربلة كتبنا من امثال هذه الروايات التي تنسب الى ائمة هداة مهديين هم منها براء. وهكذا غربلة الفقهاء انفسهم فكثير منهم وراء هذه البدع وتنميتها فالائمة لم يستحدثوا قوانيناً من عندهم واحكاماً لم يكن لها اثر في كتاب الله وسنة رسوله (ص) ولم يدّعوا قط شيئاً كهذا بل كل ما امتازوا به انهم اعرف بكتاب الله وسنة جدهم رسول الله (ص) وتلقوا العلم في بيت الرسالة ومهبط الوحي واخذوا احكام الشريعة كابراً عن كابر.

التصحيح

اذا كانت الشيعة تلتزم بالقاعدة الفقهية التي تبناها فقهاؤنا في السجود على مطلق التراب ومشتقاته وكان فقهاؤنا ايضاً يلتزمون بهذه الفتوى لم يكن الخطب فادحاً وكانت الفرق الاسلامية الاخرى تنظر الى هذا الرأي بعين الاحترام والقبول.

غير ان الشيعة جرياً على عمل فقهائنا تجاوزت هذه القاعدة الفقهية واتخذت منها ديدناً خاصاً وهو السجود على تراب موضع خاص وهو كربلاء وصنعت من ترابها اشكالا مختلفة مطولة ومربعة ودائرية تحملها معها في السفر والحضر على السواء لتسجد عليها كلما حان وقت الصلاة. ولقد تعودت الشيعة ان تخفي التربة عندما تصلي في مساجد الفرق الاسلامية الاخرى عملا بالتقية او خوفاً من حدوث بلبلة حولها او خجلا من الاكثرية التي تنظر الى هذا الامر بنظرات الاستغراب والسخرية.

انه حقاً مدعاة للحزن والالم والاسف ان تنزل الشيعة نفسها الى هذه الدرجة من التدني لالتزامها بعمل ما انزل الله به من سلطان. فلم يكن شيئاً اكثر مقتاً عند الله من هذه الازدواجية في عبادته.

فاذا كانت الشيعة ترى نفسها على حق في السجود على تربة كربلاء فلماذا تخشى من الجهر بها امام اخوان في الدين يجمعهم كتاب واحد ونبي واحد وقبلة واحدة وصلاة واحدة ؟ وان كانت على غير حق فلماذا هذا الاصرار عليه ولماذا ينتابها الخجل والوجل منه ؟

وكما قلنا فان الدور الكبير لظهور هذه الظاهرة الشاذة يعود الى الفقهاء واعلام المذهب الذين عودوا الشيعة عليها وهم عليها سائرون حتى كتابة هذه السطور. والحركة التصحيحية التي ننادي بها لا تعني اننا نحث الشيعة على عدم السجود على التراب، فرسول الله يقول :

« جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً.»

ورسول الله (ص) كان يسجد على التراب في مسجده بالمدينة، ولكننا نود القول ان تفضيل ارض على ارض حتى اذا ثبت في الشرع لا يعني الالتزام بالسجود على تلك الارض والا لكان المسلمون يحملون معهم تراب مكة والمدينة والقدس ليسجدوا عليها.

ان على الشيعة ان تكسر طوق التبعية الفكرية في امور فرضت عليها وهي ترى بطلانها كما ترى الشمس حتى تنضم الى الصف الاسلامي العريض دخولا متكافئاً رافعة الرأس قوية الحجة لا دخولا فيه ذل التقية والازدواجية في الشخصية وغمض العين عن الكرامة في سبيل بدع هي اعرف بها من غيرها.

واعود مرة اخرى واقول : نحن لا نطلب من الشيعة اكثر من العمل على ما اجمع عليه فقهاء المسلمين بما فيهم فقهاء الشيعة في صحة السجود على الارض ومشتقاتها مثل الخشب والحصى والخيزران. فلتسجد على ما يصح السجود عليه من بين هذه الاشياءوبذلك تقتدي برسول الله (ص) وبالامام علي والائمة الذين لم يسجدوا قط على شيء اسمه تربة كربلاء وتترك هذا الالتزام الذي يتضمن كل ابعاد الفرقة والبدعة على السواء. وانني لا اشك ان الفرق الاسلامية الاخرى اذا ما علمت بهذه النظرية الفقهية التي منشؤها الاجتهاد فانها قد تضمن مسجداً يتلائم مع التزام الشيعة في مساجدها وقد توفر لهم الحصير او ما شابهها من مشتقات الارض والاشجار وذلك لرفع الحرج عن اخوان لهم في الدين.

الارهاب

الشيعة هي الطائفة الاسلامية الوحيدة التي سلمت نفسها الى زعاماتها المذهبية بلا قيد ولا شرط كي تركلها باقدامها في ساحات الوغى مرة وساحات الغيلة والارهاب مرة اخرى.

الارهاب

لقد استغلت القيادات المذهبية الشيعة المسكينة عبر التاريخ فصنعت منها طائفة تعصف بها رياح البدع من كل جانب مستغلة سذاجتها وايمانها بمراجعها الدينيين وحتى هذه اللحظة فالشيعة هي الطائفة الاسلامية الوحيدة التي سلمت نفسها بلا قيد وشرط وحدود وقيود وسؤال وجواب الى قياداتها المذهبية تركلها بأقدامها في ساحات الوغى تارة وساحات الارهاب والغيلة تارة اخرى. ولذلك اخذ المجتمع الانساني في هذه السنوات الاخيرة ينظر الى المذهب الشيعي وكأنه المذهب الذي يأمر اتباعه بشن الحروب وبالارهاب والاغتيال. وكثيراً ما كانت الاخبار التي تنشر حول الشيعة في الصحف واجهزة الاعلام العالمية تتجاوز الطائفة وتلحق بسمعة الاسلام ضرراً بالغاً لعدم تمييز المجتمع الانساني بين الشيعة وسواها من الفرق الاسلامية الاخرى فكان الارهاب الذي يمارس يحسب على الاسلام ويعم المسلمين جميعاً.

ان تاريخ الغيلة والارهاب يعود الى قرون خلت وليس بجديد في تاريخنا المعاصر ولكن ظهوره في بلاد الشيعة وباسم الشيعة يعود الى مئة عام او اقل منها بقليل ولكن المؤسف والمحزن ان الغيلة منذ ظهورها في العالم الشيعي والارهاب الذي اضيف اليه في السنوات الاخيرة كلها كانت باسم المذهب وورائها فقهاء اعلام ومجتهدون عظام. فقد اغتال ميرزا رضا الكرماني الشاه ناصر الدين في عام ١٣١١ هجري وبأمر من استاذه السيد جمال الدين الافغاني، ومنذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا شهدت ايران بصفة خاصة اغتيالات مذهبية وارهاباً متقطعاً حسب الظروف السياسية والاحوال وكان وراءها مجتهدون وفقهاء.

ولكن الجدير بالعبرة ان العدالة الالهية تجسدت في هذه الدنيا لكي تعطي درساً لاولئك الذين غرسوا هذه الفكرة في النفوس باسم الدين فقد انقلب الارهاب على الذين كانوا وراءه وبالا ليس مثله وبال حيث مارس اعداء الفقهاء الطريقة نفسها في المواجهة معهم فاغتالوا من علماء المذهب وفقهاءه في غضون ست سنوات من عمر الزمان (١٤٠٠ــ١٤٠٦ هجري) عدداً يتجاوز

اضعافاً مضاعفة من الذين راحوا ضحية الغيلة والارهاب والفتوى الدينية طيلة مائة عام.

وهكذا انقلب الارهاب وبالا على الذين كانوا وراءه وجعل حياتهم جحيماً لا تطاق. حدث كل هذا بعد ان استلم السلطة في ايران فقهاء المذهب الذين باركوا الارهاب وكانوا دعامته.

ولكي اضع النقاط على الحروف اود القول بصراحة انني عندما رأيت الطوابع البريدية الجديدة التي اصدرتها الجمهورية الاسلامية الايرانية وعليها صور الارهابيين مثل ميرزا الكرماني ومجتبى نواب صفوي زعيم جماعة فدائيان اسلام التي اغتالت عدداً من رؤساء الوزارات وغيرهم بفتوى احد المجتهدين ندبت حظ الشيعة الامامية وحتى حظ الدولة التي تتظاهر بالتشيع وترى نفسها حامي حماها.

وهنا اود ان اعلن بصراحة وبلا خوف ولا وجل ان كتابنا هذا ليس كتاباً سياسياً وليس الغرض منه المواجهة مع اية دولة او جهة سياسية ولا المواجهة مع الجمهورية الاسلامية الايرانية او النظام الحاكم فيها. ولذلك اقول واشهد الله انني لم اقصد من هذه الرسالة الا الاصلاح في العقيدة الشيعية المحدثة والمستحدثة على السواء ولذلك تجنبت الدخول في المواجهة مع الاسماء والاشخاص ولكن الضرورة في بعض الاحيان تملي علي ان اقول كلمة الحق والنصيحة واوجهها حتى الى دولة او حكومة قد تستجيب لنداء الاصلاح وقد لا تستجيب، ولكن كلمة الحق يجب ان توجه للجميع وكما قال الرسول الكريم (ص) :

« الساكت عن الحق شيطان أخرس »

فياترى كيف تستطيع دولة ان تكسب الاحترام الدولي والثقة العالمية وتحترمها الشعوب الآمنة الحرة وهي تتظاهر بأنها دولة عقائدية اتخذت المذهب الشيعي شعاراً لها وهي تفتخر بالارهابيين وتتخذ صورهم رمزاً لنظامها ؟ ثم قد تكون وطأة هذا الشعار شديدة على الملايين من الشيعة في العالم وهي لا ترتبط بتلك الدولة ولا تؤمن بنظامها او سياستها، وكيف تستطيع الشيعة ان تدافع عن عقيدتها وتنفي عنها الارهاب عندما تكون الدولة الناطقة باسمها اتخذت الارهاب شعاراً لها ؟

وارجو ان يسمع كلامي هذا الحاكمون في ايران ويعلموا جيداً ان نفوس الشيعة في ايران لا تشكل الا ثلث الشيعة في العالم والبقية الباقية منتشرة في ارجاء الارض الفسيحة ولكل فئة منهم هويتهم وجنسيتهم ولغتهم وان الدولة الشيعية الايرانية لا ولن تستطيع ان تتحدث باسم الشيعة جميعاً بل وحتى باسم الشيعة في ايران، فلذلك يجب عليها ان لا تقوم بأعمال تسيء الى سمعة الاكثرية من هذه الطائفة كما فعلت حتى الآن وان تلطخ سمعتها اكثر مما فعلت.

وندائي للحاكمين في ايران ان لا يسيئوا الى الشيعة اكثر مما اساؤوا اليها فقد كفى الشيعة ذلا.

ورجائي من الشيعة ان ينبروا للدفاع عن انفسهم وكرامتهم امام المجتمع البشري ويعلنوا براءتهم من الارهاب الذي تمارسه عناصر على الابرياء باسمها.

وتارة احدث نفسي واقول : اليست الفكرة الارهابية التي ظهرت منذ مائة عام في ايران وباركها بعض فقهائنا هي من بقايا (قلعة الموت) التي اتخذها حسن الصباح في القرن السادس الهجري مقراً لنشر المذهب الاسماعيلي بالقوة تارة وبالحشيش ومشتقاتها تارة اخرى ؟ وانها امتداد للفرق الاغتيالية التي كانت تجوب البلاد الاسلامية لاغتيال اعداء الاسماعيليين ؟ وكلنا نعلم ان الوزير نظام الملك قتل بطعنة ارهابي من تلك الجماعة وبأمر مباشر من رئيسها حسن الصباح. وهناك وجه شبه كبير بين المقدمات والنتائج التي اتبعتها الفرق الاغتيالية الصّباحية والفرق الاغتيالية المتطرفة عند بعض الشيعة.

وهنا اخاطب الشيعة مرة اخرى واقول لهم :
اذا كانت الهلوسة الصباحية وما رافقها من اعمال قام بها الحشاشون من جماعته في منتصف القرن السادس الهجري قد احدثت في العالم الاسلامي فساداً ونكراً فانها ايضاً قصص مفجعة تعود الى استغلال فئة جهل السذج من الناس بالاسلام ومبادئه اما في عصر القفزات الكبرى نحو العلم ووضوح المفاهيم الاسلامية العليا للجميع فان الحجة قائمة على الشيعة كي تسلك طريق الحق والعقل وان لا تأتمر بأوامر فيها سخط الله ورسوله (ص).

اذا كان الارهاب حسناً فلماذا لا يرتضيه المخططون له لأنفسهم ولذويهم ؟ وعندما ينكشف امره يتبرأون منه، والاسلام بريء من الارهاب وتعاليم

الاسلام تناقضه، فاذا كان للارهابيين ولمن وراءهم اطماع سياسية يريدون تنفيذها فعليهم ان لا يستغلوا اسم الدين والمذهب وتكون لديهم الشجاعة الكافية لكي يتحملوا وزر اعمالهم لا ان يحملوها لمذهبهم ولدينهم.

التصحيح

لقد وضع القرآن الكريم دستوره الابدي في حرمة الارهاب بكل اشكاله وصوره ولا سيما عندما يؤخذ البريء مكان المذنب وقال :

« ولا تزر وازرة وزر اخرى.» الزمر ٧

ان هذه الجملة البليغة تعطي نوراً واشراقاً لكل من يتخذ القرآن له اماماً وهادياً.

واذا ما نظرنا الى سيرة ائمة الشيعة وعملهم نرى انهم كانوا ابعد الناس عن الارهاب واكثرهم مقتاً له، وهذا هو الامام الحسين يخاطب الفئة التي هجمت على خيام حرمه واهل بيته في يوم عاشوراء بكلام لم ينساه التاريخ فقد قال لهم :

« يا شيعة ابي سفيان، ان لم يكن لكم دين ولن تخافوا المعاد فكونوا احراراً في دنياكم. ان النسوة ليس عليهن جناح.»

وهكذا وضع الامام الحسين وهو سيد الشهداء والامام الذي اشتهرت الشيعة بالحب الجارف نحوه الخط الفاصل بين الشجاعة والجبن، وبين الكرامة الانسانية التي فيها رضى الله والعمل المقيت الذي فيه سخط الله، وبهذه العبارارت البليغات الصريحات امر الحسين المسلمين سواءا كانوا من شيعته او شيعة غيره ان يسلكوا طريق الكرامة حتى في معاملة الاعداء واسرى الحرب وان لا يسيئوا الى الاطفال والنساء حتى وان كانوا هم في حالة حرب مع رجالهم.

وهذا هو مسلم ابن عقيل سفير الحسين الى اهل الكوفة يابى من قتل عبيد الله ابن زياد غيلة وذلك بعد ان هيأ له هاني ابن عروة الفرصة وقال :

« نحن اهل بيت لا نغدر.»

وعبيد الله ابن زياد قدم الى الكوفة بعد ان بايع اهلها مسلم ابن عقيل كسفير

للحسين ولكنهم خذلوه وانضموا الى الوالي الجديد ولم يبق لمسلم ان يقاتل حتى يقتل او يغتال ابن زياد ويعود الى السلطة من جديد، ولكنه رفض ان يقوم بعمل لا تقره الكرامة والرجولة حتى وان كان في ذلك مصرعه وخيبة المهمة التي انيطت به.

وهكذا نرى ان النتائج مهما كانت لها من الاهمية فلا تبررها مقدمات دنيئة مثل الغيلة والغدر في دستور الاسلام الخالد وفي عرف اهل بيت رسول الله (ص) ولنستشهد مرة اخرى بعمل الامام علي والذي تقول الشيعة انها تقتدي به ويعتقد بعض فقهائنا ولاسيما اولئك الذين يرون انفسهم من انصار الارهاب بان عمل الامام حجة ونقول لهم ان الامام نهى اصحابه عن القيام بأي عمل يتنافى مع الكرامة الانسانية حتى انه امر برفع الحواجز التي وضعها جيشه على نهر الفرات في حرب صفين لمنع جيش الشام من الحصول على الماء ونهى عسكره من القيام بأي عمل يتنافى مع السيرة المتبعة في الحروب بين الرجال. وعندما قتل الثائرون الخليفة عثمان ابن عفان وعلم الامام بذلك لطم الحسنين على خدهما لعدم منعهما الثائرين من التقرب الى الخليفة المقتول وكما نعلم فلقد كان للحسنين مقام عظيم عند الامام علي عبر عنه في احدى حروبه وعندما كانا يتقدمان صفوف المحاربين بقوله :

« املكوا عني الغلامين فاني اخاف ان ينقطع بهما
نسل رسول الله.»

وعندما نلقي نظرة فاحصة على عصر الرسول الكريم (ص) نعلم علم اليقين ان الارهاب لم يكن معروفاً لديهم وعندما هدَّد ابو لؤلؤ الخليفة عمر ابن الخطاب بقوله :

« ساصنع لك رحى تتحدث عنها العرب.»

قال الخليفة :

« هددني ابن المجوسية.»

ولكنه لم يفعل شيئاً بالنسبة اليه ولم يأمر بحجزه او ابعاده.

ولهذا يمكن القول ان فكرة الاغتيالات لم تكن تراود نفوس المسلمين في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين، ولم تكن معروفة لديهم، ولذلك لم ينظر المسلمون

اليها بنظرة الجد والحزم ، وبعد اغتيال الخليفة عمر ابن الخطاب على يد ابو لؤلؤ لم يأخذ سلفيه عثمان وعلي الحذر مما اصاب الخليفة فكان قتل الخليفة عثمان اشبه ما يكون بالغيلة والامام علياً قتل على يد خارجي اسمه ابن ملجم وفي اثناء صلاة الصبح، ولقد قيل له اكثر من مرة ان يأخذ حذره من الخوارج ولكنه كان يرفض ذلك بقوله :

« كفى بالموت حارسا.»

ولذلك نستطيع القول بعد كل هذا ان البيئة الاسلامية الصحيحة كانت ترفض ان تنسب اليها شيئاً باسم الغيلة والارهاب ولذلك لم يعط لعمل كهذا شرعية الوقاية منه بل نظرت اليها كحركة اجرامية عابرة والاسلام منها براء والمسلمون في مقت منه وانها اعمال لا يقوم بها الا اناس على شاكلة ابو لؤلؤ المجوسي وابن ملجم الخارجي وامثالهما نادر وقليل.

واعود مرة اخرى الى الارهاب واقول : ان الاعمال الارهابية ورائها مخططون يعرفون النفسية القلقة التي يتصف بها المتطوعون للعمل الارهابي فهم يستغلون تلك النفوس ويمنونهم بحور عين وكأس من معين مضافاً اليهما دروساً في الشجاعة والبطولات والتخليد في التاريخ واخذ الثأر وهكذا يرسلون ضحاياهم الى حيث العمل الارهابي وهم يجلسون بعيداً عن حلبة الصراع ليقطفوا ثمار النتائج التي يرومون اليها فهم يقضون اوقاتهم في القلاع الحصينة الآمنة واتباعهم في ساحات الانتحار ينفذون انزال الدمار بالابرياء والممتلكات باسم الله ورسوله والامام علي.

صلاة الجمعة

اعتقد جازماً ان فقهاءنا اجتهدوا امام النص الصريح بسبب واحد الا وهو ايجاد الفرقة في الصف الاسلامي الكبير وحمل الشيعة على عدم التلاحم مع الفرق الاسلامية الاخرى في صلاة يوم الجمعة.

صلاة الجمعة

« يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله، وذروا البيع ، ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون.» الجمعة ٩

بهذا النص الصريح القاطع شرَّع الاسلام صلاة الجمعة وفرضها على كل من يؤمن بالله ورسوله وكتابه. غير ان الاكثرية من فقهاء الشيعة ـ سامحهم الله ـ اجتهدوا امام النص الصريح وقالوا بالخيار بين صلاة الظهر والجمعة، واضافوا ان شرط اقامة الجمعة انما هو حضور الامام الذي هو الامام المهدي ففي عصر الغيبة تسقط الجمعة من الوجوب العيني ويكون للمسلمين الخيار في الاتيان بها او بصلاة الظهر.

وقالت فئة اخرى من فقهائنا ان صلاة الجمعة حرام في عصر الغيبة ويقوم مقامها صلاة الظهر، وهناك قلة من فقهائنا وبعضهم في القمة مثل الشيخ حر العاملي صاحب كتاب (وسائل الشيعة) الذي افتى بوجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة.

ولا اريد ان ادخل ايضاً في جدل فقهي عقيم لم يحل منذ الف عام عند فقهاء المسلمين ولن يحل اذا ما اردنا ان نتحدث بلغة الروايات التي يستند عليها فقهاء الشيعة.

ان كل ما قيل ويقال في اسقاط صلاة الجمعة في عهد غيبة الامام يصطدم بنص صريح لا اجتهاد فيه وذلك اذا كنا ملتزمين بدستور الاسلام فنحن امام دستور ثابت وصريح وواضح لم يكن مقيداً بقيود او مشروطاً بشروط .
ولست ادري كيف استطاع فقهاؤنا ان يجتهدوا في نص قرآني بليغ وواضح بالاستناد الى روايات نسبت الى ائمة الشيعة، وموقفي من هذه الروايات كلها الموقف نفسه بالنسبة لكل الروايات الموضوعة، فأنا لا اشك ابداً بأن كثيراً من تلك الروايات وضعت في العصر الاول من الصراع بين الشيعة والتشيع وذلك كي يمنع الشيعة من الحضور في صلوات الجمعة التي هي في حقيقتها تظاهرة اسلامية كبرى وعدم الاختلاط بسائر الفرق الاسلامية والمشاركة معها في شعار الاسلام العظيم.

وهناك دليل واضح لما ذهبت اليه من الرأي قد خفي على كل اولئك الذين كتبوا في صلاة الجمعة وارخوها، وهو ان ملوك الصفويين الذين كانوا حماة التشيع في ايران وكثير من البدع التي الصقت بالتشيع انما الصقت به بمباركتهم وسياستهم كانوا من اشد انصار صلاة الجمعة، واكبر المساجد الايرانية واضخمها بنيت في عهد ملوك الصفويين، وكان المسجد الرئيسي يسمى (مسجد الجمعة)ولا يوجد مدينة كبيرة في ايران الا وفيها مسجد من هذا الطراز. وكان امام المسجد ذلك يلقب (امام الجمعة) ويعين بمرسوم خاص من الشاه، وكان هذا المنصب منصباً محترماً يناط بكبير العلماء او شيخ الفقهاء في كثير من الاحيان، وكان هذا المنصب موجوداً في بلاط الاسرة المالكة حتى ان انقرضت الملكية في ايران قبل بضع سنوات ويعني هذا ان فكرة حرمة صلاة الجمعة في عصر الغيبة لم تطرح الا في بلاد كان الاحتكاك شديداً فيها بين الشيعة وغيرها من الفرق الاسلامية الاخرى حتى تثني الشيعة من الالتحام بالركب الاسلامي الموحد، ولكن في ايران حيث كانت الاكثرية من الشيعة فان الفقهاء لم يعارضوا صلاة الجمعة وكانت تقام في مساجد البلاد بطولها وعرضها. غير ان فكرة الخيار بين الجمعة او صلاة الظهر كانت موجودة فقهياً وكانت هناك في المدن الايرانية مساجد تصلى فيها الجمعة واخرى تصلى فيها صلاة الظهر.

وحتى كتابة هذه السطور فان بعض فقهاء الشيعة من الاحياء يفتون بوجوب صلاة الجمعة وعدم سقوطها في عصر الغيبة ولكن عدد هؤلاء لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة وكانوا عبر التاريخ الفقهي يعدون بين القلة القليلة.

وبعد ان استلم الفقهاء السلطة في ايران اصبحت صلاة الجمعة في ضمن سياسة الدولة الاساسية وعينت ولاية الفقيه لكل مدينة اماماً يسمى (امام الجمعة) كما كان يفعل الشاه من قبل واستحدثوا تسمية جديدة لها وهي (الصلاة العبادي السياسي) فالخطباء في خطبة صلاة الجمعة يتحدثون عن قضايا الساعة والسياسة ومشاكل البلاد وسواها، ولا يعنيني ابداً ماذا يقال في خطبة الجمعة لأن المهم هو العمل بالفريضة اما ما يقوله الخطباء فهذا شيء يعود اليهم، ولكن الذي يعنيني ان صلاة الجمعة لازالت متروكة في كثير من المناطق التي يسكنها الشيعة خارج ايران ولا يصلونها يوم الجمعة في مساجدهم، ومن هنا اود ان اطلب التصحيح والقضاء على هذه الظاهرة التي تتناقض مع روح الاسلام واهدافه ونص القرآن الكريم.

التصحيح

اذا ترك الاتيان بهذا الفرض الى ائمة المساجد في المناطق التي تسكنها الشيعة فهذه الفريضة تبقى متروكة لقرون اخرى لأن ائمة مساجد الشيعة في كثير من الاحيان يأتمرون بأمر فقيه او مرجع من مراجع الشيعة وامام كهذا لا يستطيع ان يخرج من فتوى المرجع الذي نصبه في هذا المقام ولاسيما ان حياته المادية منوطة بعمله والاطاعة لمولاه. ولذلك فان على القاعدة الشيعية ان تفرض على ائمة مساجدها صلاة الجمعة وان تطلب منهم الاتيان بهذه الفريضة واذا لم يستجيبوا فعليهم ان يصلوا في مساجد اخرى تصلى فيها الجمعة فهذه الفريضة الالهية لا تسقط بحال ويجب الاتيان بها في كل الاحوال. واني لا اشك ابداً ان الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة اذا ما التزمت بهذا الشعار الاسلامي العظيم فانها ستقضي على مظهر كبير آخر من مظاهر التفرقة التي نهى الله ورسوله الكريم (ص) عنها وهم بذلك يجددون عصر الوحدة الاسلامية الكبرى ويكونوا من حماته.

تحريف القرآن

القول بتحريف القرآن يناقض الايمان به .

تحريف القرآن

لست ادري كيف يستطيع المرء ان يقول بتحريف القرآن وهو امام نص صريح يدحض كل الاقوال حول التحريف، ولست ادري ايضاً كيف يستطيع احد ان يكون مؤمناً بالقرآن وهو يدلي رأياً يناقض ما جاء فيه والآية الكريمة :

« انا نحن نزّلنا الذكر وانّا له لحافظون.» الحجر ٩

تغنينا عن الاستدلال بعدم تحريف القرآن المنزل على محمد رسول الله (ص). فالوعد الالهي صريح بأنه تعالى يحفظ الذكر الحكيم من اي تلاعب او تحريف او اضافة والقائلون بالتحريف يشكلون عدداً من علماء الفرق الاسلامية كلها الا ان علماء الشيعة ومحدثيهم يشكلون الاكثرية المطلقة بين هؤلاء. وقد ذهب رهط من علماء الشيعة الى عدم التحريف واستشهدوا بالآية الكريمة التي اوردناها ولكن ذهب آخرون الى التحريف باصرار وعناد منهم النوري الذي الّف كتاباً اسماه (فصل الخطاب في تحريف الكتاب)وذكر في الكتاب المذكور عبارات زعم انها آيات قرآنية محرّفة، والمتتبع المنصف لا يشك ابداً ان السبب الذي حدى بالمحدثين ان يذهبوا الى تحريف الكتاب هو الاستدلال بآيات منصوصة في امامة علي كانت مذكورة في السور والآيات المحرَّفة على حد زعمهم، وبذلك كان بعض اعلام الشيعة يدافع عن عدم وجود نص الهي في القرآن حول الامامة بتلك الآيات المزعومة التحريف.

وتحريف القرآن يصطدم بعقبة كبيرة لدى اعلام الشيعة ايضاً وهو اقرار الامام علي في ايام خلافته بهذا القرآن الموجود بين ايدي المسلمين، فلو كانت هناك سور او آيات محرًفة لتحدث عنها الامام علي واثبتها في القرآن.

ان فكرة تحريف القرآن ليست من الافكار التي تظهر على الساحة الشيعية كفكرة عامة ذات ابعاد خطيرة لأن الأكثرية الساحقة من الشيعة لم تتقرب الى هذا البحث ولا تؤمن به بسبب موقف كثير من فقهائنا من عدم التحريف، ولكن الفكرة تأخذ طابعاً حزيناً عندما ينشر الناشرون كتباً الّفها بعض علمائنا في التحريف وتوزع الكتب تلك على الناس او تستل منها مقتطفات لتذكر في كتب اخرى ويطلع عليها المسلمون جميعاً.

ومن هنا نوجه نداء التصحيح الى كل الناشرين في البلاد الشيعية كي

يقلعوا عن نشر كتب كهذه لأنها كتب تخالف كتاب الله ونصوصه وتضر بسمعة الاسلام وكتابه الكريم الذي هو الدستور الخالد للمسلمين فاذا ما اصابه وهن اصابهم واذا اصابته قوة اصابتهم.

وكما قلنا فان الرأي السائد لدى الاكثرية من فقهاء الشيعة هو عدم التحريف، ولكن هذا الرأي يعقبه رأي آخر هو من الغرابة بمكان ولا توجد له ادلة الاّ في الروايات التي يرويها رواة الشيعة، ونحن في حركتنا التصحيحية لا نستطيع ان نغفل آراء شاذة كتلك وعلينا ان نشير اليها لكي يكون التصحيح جامعاً ومانعاً وهنا نذكر رأياً لكبير علماء الشيعة وهو الامام الخوئي الذي يقول في تفسيره (البيان) ص ٢٥٩، وذلك بعد ان استعرض آراء فقهاء المسلمين ومحدثيهم بما فيهم الشيعة حول التحريف في القرآن او عدم وقوعه ما هو نصه :

« ومما ذكرناه قد تبين للقارىء ان حديث تحريف القرآن، حديث خرافة لا يقول به الاّ من ضعف عقله او من لم يتأمل في اطرافه حق التأمل او من لجأ اليه، يحب القول به والحب يعمي ويصم، واما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته.»

واما الرأي الثاني الذي اشرنا اليه فهو في ص ٢٢٢، من الكتاب المذكور وجاء فيه :

« ان وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه، وتسالم العلماء والأعلام على وجوده اغنانا عن التكلف لأثباته، كما ان اشتمال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود وان كان صحيحاً الا انه لا دلالة في ذلك على ان هذه الزيادات كانت من القرآن وقد اسقطت منه بالتحريف بل الصحيح ان تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل وما يؤول اليه الكلام او بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.»

وبهذه العبارات يريد فقيهنا اثبات مصحف للامام علي يختلف عن القرآن ولكنه في الوقت نفسه يضيف جملة محيرة وهي :

« او بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.»

ولست ادري ما هذا الاصرار على تسمية شرح للقرآن او تفسير له بالمصحف ثم ما هو هذا الاجماع الذي يدّعيه بقوله :

« تسالم العلماء الاعلام على وجوده اغنانا عن التكلف لاثباته.»

ومتى اجمعت العلماء على ذلك اللهم الاّ نفر قليل استندوا على كلام ينسب الى الامام علي ذكره الطبرسي في الاحتجاج.

والمحقق المتتبع لكلمات الامام وسيرته يشك كل الشك في صدور كلام مثل ذلك عن الامام لما فيه من غرابة المحتوى، ثم ماذا تعني تلك الجملة المحيرة هل ان القرآن له شرح الهي صادر من الله ولكنه ليس جزءاً من القرآن فيكون القرآن المنزل من الله مؤلفاً من متن وشرح متنه في يد الجميع وشرحه عند الامام علي فقط .

واذا لم تخونني الذاكرة فقد ناقشت موضوع هذا المصحف مع العلامة الكبير الخوئي ولم يأت بشيء اكثر من الاستشهاد على رواية الطبرسي، وانتهى الحوار الى جدل عنيف وحاد ارجو من الله ان يغفر لي اذا ما تجاوزت على حرمة استاذ درست عليه الفقه واصول الفقه بعض الوقت وذلك في ايام دراستي عندما كنت في النجف.

ان فقهائنا وعلمائنا يستدلون على وجود مصحف للامام علي برواية يذكرها الطبرسي في كتاب الاحتجاج وهي ان الامام قال :

« يا طلحة ان كل آية انزلها الله تعالى على محمد (ص) عندي باملاء رسول الله وخط يدي وتأويل كل آية انزلها الله تعالى على محمد (ص) وكل حلال او حرام او حكم تحتاج اليه الامة الى يوم القيامة فهو عندي مكتوب باملاء رسول الله وخط

يدي حتى ارش الخدش.» (١)

وكما قلنا في هذه الرواية ضعف واضح وغرابة مذهلة ومنها تتفرع اسئلة عديدة لا عد لها ولا حصر، وقبل كل شيء لماذا خص الرسول الكريم (ص) الامام علياً بتعليم احكام تحتاج اليها امته الى يوم القيامة ولكن لم يخبر بها امته بل اخفاها عليهم والقرآن الكريم يقول :

«وما ارسلناك الاّ كافة للناس بشيراً ونذيرا، ولكن
اكثر الناس لا يعلمون.» سبأ ٢٨

ويقول في موضع آخر :

« اليوم اكملت لكم دينكم ... الآية ....» المائدة ٣

ولماذا لم يتحدث الامام علي عن تلك الاحكام في خلافة الخلفاء الذين سبقوه او في زمن خلافته ولماذا اخفى احكاماً تحتاج اليها الأمة الى يوم القيامة وفيها حلاله وحرامه وحتى ارش الخدش. حقاً انه اضطراب مخل بالتعقل نقرأه في عقول الذين وضعوا روايات كهذه ونسبوها الى الامام علي وادهى منه ان فقهائنا ــ سامحهم الله ــ استندوا عليها وحكموا عليها حكم المسلّمات.

التصحيح

ان كل ما قيل وذكر في الكتب الشيعية عن مصحف الامام علي ليس اكثر من اضفاء هالة من الغلو على شخصية الامام علي حسب زعم الذين كانوا وراء وضع هذه الاساطير واثبات ان الامام علياً انما هو تالي تلو واحق بخلافة الرسول (ص) من غيره ولذلك يحتفظ بمصحف خاص لا يحتفظ به غيره. هذا في ظاهر الامر ولكنهم في الحقيقة اساؤا الى الامام من ناحية اخرى فعرّفوا الامام بأنه يخفي احكاماً الهية فيها حدوده وحلاله وحرامه وكل ما تحتاج اليه الامة الى يوم القيامة ولم يدلي بها الاّ لأولاده الذين هم الائمة، والائمة بدورهم اخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم الى ان اختفت كل تلك العلوم باختفاء الامام الثاني عشر.

١ــ تفسير البيان، الامام الخوئي ص ٢٢٢

وهكذا نرى ان الحب الجارف عندما يتجاوز حده ينتهي الى الاساءة المطلقة والشيء اذا تجاوز حده انقلب الى ضده. ومن هنا ننطلق مرة اخرى لفكرة التصحيح ولمقارعة الاوهام التي نسجت حول الامام علي وسائر ائمة الشيعة.

حقاً لقد وضعوا حول الشمس نجوماً خافتة وزعموا انها تزيد الشمس اشراقاً وتوهجاً فكان شأنهم شأن اولئك الذين وصفهم الله بقوله :

« الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا.» الكهف ١٠٤

ومع اننا نعتقد ان أغلب الروايات الموضوعة عن الائمة وضعت بعد الغيبة الكبرى وهو العصر الذي نسميه بعصر الصراع الأول بين الشيعة والتشيع، الاّ أن المتتبع المنصف لا يجد بداً من القول ان في عهد ائمة الشيعة ايضاً وضعت روايات عنهم كما ان وضع احاديث عن الرسول الكريم (ص) كان يشغل بال المسلمين بعد عصر الرسالة غير أن الروايات الموضوعة التي كانت تنسب الى ائمة الشيعة في حال حياتهم لم تكن ذات ابعاد خطيرة بسبب وجودهم بين الناس واستطاعة الناس من الوصول اليهم والسؤال عنها وهذا هو الامام الصادق يروي عن رسول الله (ص) انه قال :

« ان على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه.»

ويقول ابن ابي يعفور انه سأل الامام الصادق عن اختلاف الحديثين يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به فقال :

« واذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله او من قول رسول الله (ص) والاّ فالذي جائكم به اولى به.» (١)

ويروي ابن ابي عمير عن الامام الصادق ايضاً انه قال :

١ــ الكافي ج ١، ص ٦٩

« من خالف كتاب الله وسنة محمد (ص) فقد كفر.» (١)

ويقول الامام في مكان آخر :

« كل شيء مردود الى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف.»(٢)

وهكذا وضع الامام الصادق الطريق الواضح للفصل بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة وهكذا الفصل بين الروايات الصحيحة والكاذبة حتى يسد الباب على البدع التي تظهر في الدين وباسم الدين.

وقبل ان انهي هذا البحث اود ان اشير ايضاً الى ان بعض علماء الشيعة تحدث في كتبه عن مصحف فاطمة مضافاً الى مصحف علي، وموقفنا من هذا الرأي هو الرأي نفسه في مصحف علي وفيما اسلفناه الكفاية.

١ــ الكافي ج ١، ص ٧٠

٢ــ الكافي ج ١، ص ٦٩

الجمع بين الصلاتين

اقامة الصلوات في اوقاتها اقتداء بسيرة رسول
الله (ص)، والقرآن الكريم يقول :
« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.»
الاحزاب ٢١

صدق الله العظيم

الجمع بين الصلاتين

تنفرد الشيعة الامامية بالجمع بين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء في الحضر.

وموقفي من هذا الخلاف الفقهي يختلف تماماً عن غيره من المسائل الفقهية الاّ أن هذه الظاهرة التي تنفرد بها الشيعة قد تضر بالوحدة الاسلامية الكبرى ولاسيما أن الأكثرية من فقهاء الشيعة يفتون باستحباب اتيان الصلوات في اوقاتها المحددة ولكن من الناحية العملية يذهبون الى الجمع، وقد جرت العادة في مساجد الشيعة على هذا النحو ايضا.

والصلوات الخمس فرضت لأوقات محددة وسميت بها، فوقت العصر يختلف عن الظهر والعشاء من الناحية الزمانية يختلف عن المغرب، ولاشك أن هناك حكمة بالغة الهية في فرض الصلوات في هذه الاوقات الخمسة وجعلها عمود الدين ومن اهم الشعائر الاسلامية.

وكان الرسول (ص) يصلي في مسجده بالمدينة في الاوقات الخمسة وهكذا الخلفاء بعده بما فيهم الامام علي وهكذا كانت سيرة ائمة الشيعة. واذا ما جمع الرسول (ص) بين الصلاتين مرة او مرتين في غير سفر فقد كان لضرورة او للترخيص اما عمله (ص) فكان هو الالتزام بالاوقات الخمسة.

وليت شعري ان اعرف هل هناك سبب يجدي بالخير في التظاهر بهذا الاختلاف مع الاكثرية الساحقة من المسلمين ام انه عمل سنّه اناس كان غرضهم عزل الشيعة عن كل مظاهر الوحدة ؟ ثم سار عليه الفقهاء وائمة المساجد وهم يعلمون او لا يعلمون. ونحن في العملية التصحيحية نهتم بجمع الشمل من الناحية النظرية والعملية على السواء ورسالتنا هي القضاء الأبدي على كل مظاهر الفرقة الفكرية والعملية وكل ما يدور حولهما وهذا لا يتم الاّ بالعودة الى عصر الرسالة والتمسك بسنة رسول الله (ص) على الطريقة التي كان (ص) يؤديها. ولا اعتقد انه يوجد بين المسلمين شخص واحد يفضل على عمل رسول الله (ص) وسنته عمل الآخرين وآرائهم. ومن هنا نحن نهيب بأئمة مساجد الشيعة وبالشيعة انفسهم ان يلتزموا بالصلوات في اوقاتها ويضعوا نصب اعينهم الصلوات الخمس التي كان رسول الله (ص) يؤديها

في مسجده بالمدينة ومعه صحابته من المهاجرين والأنصار، وأن لا يشذوا عن طريق رسمه للمسلمين نبي الاسلام ففي الاقتداء به وبسنته عزهم وكرامتهم وشوكتهم وهذا هو الامام علي يكتب الى امراء البلاد حول الصلاة واوقاتها وقد جاء في كتابه :

« اما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس من مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية ....وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ....وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه. » (١)

١ـ نهج البلاغة ج ٣، ص ٨٢

الرجعة

وعندما تمتزج الاسطورة بالعقيدة والاوهام بالحقائق تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد.

الرجعة

هناك موضوعان يحتلان موقعاً صغيراً في عقيدة الشيعة الامامية ولا اثر لهما في الحياة الشيعية الاجتماعية والفكرية اللهم الا انهما يثيران الجدل والبحث حول المذهب كلما اراد قوم ان لا يترك صغيرة او كبيرة من الفجوات الا وقد احصاها، انهما الرجعة والبداء وقد كنا نود ان نغفل هذين البحثين في كتاب التصحيح ولكن رأيت من الافضل ان نفرد لكل بحث منهما فصلا خاصاً به بصورة مقتضبة ولاسيما بعد ان كثرت الكتابات وانتشرت المقالات حول المذهب الشيعي في الآونة الاخيرة وسلطت الاقلام والصحف الضوء على الشيعة ومذهبها وما ينتسب اليها فكما قلنا فان موضوعي الرجعة والبداء وان كانا لا يحتلان الموقع الهام والاساسي في العقيدة الشيعية حتى ان بعض اعلام المذهب فندوا الفكرتين وان الاكثرية الساحقة من الشيعة لا تعرف شيئاً عنهما ولا تدرك مغزاهما لاسيما فكرة البداء وما يحيط بها من جدل عقلي اثاره بعض اعلام الشيعة في مؤلفاتهم الا ان هناك كتب الفت في الموضوعين وتبناهما بعض الاعلام ايضاً ولكن الادهى من كل هذا ان فكرتي الرجعة والبداء وردتا في الزيارات التي تقرأها الشيعة امام مشاهد وقبور ائمتها في كل صباح ومساء ولم يحدث قط ان الزعامات المذهبية العليا المسيطرة على قلوب وعقول الشيعة اعترضت على هذه الجمل والعبارات او طلبت حذف هذه المضامين من الزيارات تلك او فندت محتواها في حين ان بعض تلك الزعامات كان يبدي امتعاضاً او انكاراً لفكرة الرجعة والبداء في مجالسه الخاصة ولكنه لم يبد الرأي فيهما علناً ولذلك رأيت ان الواجب يملي علي ان اكمل كتاب التصحيح بالرجعة والبداء وابدأ بأولاها

تعني الرجعة في المذهب الشيعي ان ائمة الشيعة مبتدئاً بالامام علي ومنتهياً بالحسن العسكري الذي هو الامام الحادي عشرعند الشيعة الامامية سيرجعون الى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي ارسى قواعده بالعدل والقسط الامام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الائمة ويملأ الارض قسطاً وعدلا ويمهد الطريق لرجعة اجداده وتسلمهم الحكم وان كل واحد من الائمة حسب التسلسل الموجود في امامتهم سيحكم الارض ردحاً من الزمن ثم يتوفى مرة اخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي الى الحسن العسكري وسيكون بعد

ذلك يوم القيامة، كل هذا تعويضاً لهم عن حقهم الشرعي في الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة.
والذين كتبوا في الرجعة من اعلام الشيعة فسروا الآية الكريمة :

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون.» الانبياء ١٠٥

ان الغرض من العباد الصالحين انما هم ائمة الشيعة.

هذه خلاصة الفكرة اشرنا اليها باجمال كما انه لابد من القول ايضاً ان الذين الفوا الكتب في الرجعة واستشهدوا على وقوعها بالروايات التي ذكرها بعض كتب الروايات المنسوبة الى ائمة الشيعة لم يكتفوا الى هذا الحد من القول برجعة ائمة الشيعة فقط بل اضافوا عليها افكاراً اخرى وكلها ايضاً مستوحاة من تلك الروايات الموضوعة التي اشرنا اليها اكثر من مرة وقالوا ان الرجعة لا تشمل ائمة الشيعة فحسب بل تشمل غيرهم وذكروا اسماء نفر غير قليل من صحابة الرسول (ص) زعموا انهم من اعداء الائمة والذين منعوهم ن الوصول الى حقهم في الحكم كل هذا حتى يتسنى للائمة الانتقام منهم ي هذه الدنيا.

وقد يخيل الي أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضعوا الروايات لاثباتها لم يقصدوا منها رجعة الائمة بقدر ما كانوا يقصدون رجعة الاعداء حسب زعمهم وذلك للانتقام منهم لأن هذه الفكرة كانت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الاسلامية الاخرى تفرقة لا لقاء بعدها ولو ان الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لائمة الشيعة لم يصوروهم بهذا المظهر الراغب في الحكم حتى ان الله سيعيدهم الى هذه الدنيا الفانية مرة اخرى ليحكموا فيها بعض الوقت وهم ائمة لهم جنة عرضها كعرض السماوات والارض اعدت للمتقين، والامام علي يقول :

« والله ان دنياكم هذه لأهون عندي من ورقة في
فم جرادة تقضمها.»

ومهما يكن من امر فنحن مع كل الاسف امام افكار من هذا النوع وقد الف فيها بعض اعلامنا كتباً واشتملت الفكرة حيزاً من العقيدة ولو لم يكن جزءاً منها، والفكرة شبيهة مع فارق كبير الى الفكرة التناسخية التي جاء بها فيثاغورس

وتبناها الفيثاغوريون ولها انصارها حتى اليوم وظهرت في مظاهر مختلفة وتعابير متفرقة ودخلت الى بعض العقائد البدائية وغيرها ولكن الذين الفوا وصنفوا حول رجعة ائمة الشيعة لم يستعملوا المضامين التي استعملها الفيثاغوريون في صحة التناسخ او بالاحرى انتقال الروح من جسد الى جسد آخر لأن التناسخيين لا يعتقدون بوحدة الموضوع في عودة الشخص الى الدنيا بعد الموت ويعتقدون بتعدد الحياة والموت بصور شتى وانماط مختلفة ولكن فكرة الرجعة تحتفظ بوحدة الموضوع ولا تكون لأكثر من مرة غير قابلة للتكرار حيث يكون بعدها الموت الثاني ومن ثم البعث والنشور، ومن هنا اود القول ان الذين كانوا وراء فكرة الرجعة لعلهم كانوا من المتأثرين بالفلسفة الفيثاغورية وادخلوا الفكرة في المذهب وذلك بعد اجراء تحوير اسلامي عليها شأنهم شأن كل المبدعين في العقائد والمذاهب ولست ادري ايضاً متى دخلت فكرة الرجعة على وجه التحديد الى الاوهام والفت حولها الكتب الا ان الذي لاشك فيه ان ظهور مثل هذه الافكار البعيدة عن التعقل ظهرت في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع حيث كانت السذاجة هي الطابع الغالب على الناس والميل الى الافكار الغلوائية البعيدة عن المنطق كان له سوق رائج ، والبدعة هذه تختلف عن البدع الاخرى التي اضيفت الى الافكار الشيعية حيث لم يترتب عليها تنظيم سياسي عملي او اجتماعي او اقتصادي اللهم الا شيء واحد قد يكون هو السبب في اختلاق فكرة الرجعة وهو كما قلنا استكمال العداء وتمزيق الصف الاسلامي بمثل هذه الخزعبلات التي دونت وقيلت في انتقام الائمة من صحابة الرسول الذين خالفوا النص الالهي في امر الامامة والخلافة فكل حديث من هذا النوع كان ولايزال يزيد في تأجيج نار الفتنة ويضر بالوحدة الاسلامية ويقضي على كل بادرة من بوادر الالفة والتقريب وهنا اودان اذكر قصة حدثت لي قبل سنوات عديدة عندما كنت في النجف مقيماً فقدجاءني احد المشايخ وطلب مني ان ابتاع منه كتاباً قد فرغ لتوه من تأليفه وطبعه اسمه (الشيعة والرجعة) فسألته عن فحواه

فقال : اثبات رجوع الائمة الى هذه الدنيا.

فسألته من جديد : ومتى يكون ذلك ؟

فقال : بعد ظهور المهدي الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً.

فسألته مرة اخرى : اذن ما هي الفائدة من رجوعهم لأن القسط والعدل قد

استتبا والائمة اعلى شأناً واجل قدراً من ان يطلبوا الحكم للحكم والامام علي يقول :

« ان دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز الا ان
اقيم حقاً وابطل باطلا.»

فقال الشيخ وقد ملكته الدهشة : ولكن في كتبنا روايات تثبت رجوع الائمة.
فصحت في وجهه: الم يكن من الافضل ان يترك هذا الامر للمهدي حتى يقول كلمته فيه ؟
فولى الشيخ هارباً وهو يقول : واديناه!

التصحيح

لقد قلت قبل قليل ان فكرة الرجعة لا تشغل حيزاً مهماً في عقيدة الشيعة الامامية ولكن كثيراً منهم يقرأون زيارة الجامعة الكبيرة التي هي من اهم الزيارات وتعتبر موثوقة عند الشيعة وفيها عبارات صريحة في الرجعة ولم يحدث قط ان فقيهاً من فقهائنا او زعيماً دينياً من زعمائنا وقف مفنداً لهذه الجملة بصريح القول والعبارة والشجاعة او امر بحذفها او فسرها تفسيراً ملائماً مع العقل ان كان هناك مجال للتفسير.

وزيارة الجامعة التي اشرنا الى مقتطفات منها في فصل زيارة مشاهد الائمة وهي التي تقرأها الشيعة امام قبور ومشاهد ائمتها عندما تذهب للسلام عليهم فقد جاء في احدى فقرات هذه الزيارة هذه العبارة :

« مؤمن بايابكم مصدق برجعتكم منتظر لأمركم
مرتقب لدولتكم.» (١)

ولاشك ان الغرض من عبارة رجعتكم ليس البعث والنشور لأن في هذا الامر يشترك الناس جميعاً حسب عقيدتنا الاسلامية التي هي الاصل الثالث من اصول الدين ويأتي بعد التوحيد والنبوة . اذن فان الغرض من الرجعة هو الرجعة الثانية الى هذه الدنيا وعلى هذه العبارة استند كثير من اعلام المذهب الشيعي في اثبات الرجعة فكان شأنهم شأن من بنى على رواية موضوعة او جملة موضوعة بناءاً شاهقاً من الاوهام وهنا نذكر جملة لأرسطو قالها في استاذه افلاطون ساخرا من نظرية المثل التي نادى بها فقال :

١ــ مفاتيح الجنان، ص ١٠٠٥

« ان مثل افلاطون في مثله كمن صعب عليه ان
يعد كمية من الاشياء فضاعفها كي يسهل عليه
عدها.»

وهكذا فإن بعض فقهائنا عندما يصعب عليهم فهم جملة أو دركها لتناقضها مع أصول الإسلام والعقل فبدلاً من أن يطرحوها أرضاً ويجنبون العوام من الناس من أمرها يضاعفون في شرحها وتفسيرها وبذلك يضيفون بدعة إلى بدعة وضلالاً إلى ضلال فتزيد الطين بلة ويعم الشر الجميع.

ان غربلة كتب الزيارة من كل هذه العبارات والمضامين التي تتغاير وتتناقض مع العقل السليم وروح الاسلام ولاسيما تلك العبارات والجمل التي فيها تنقيص وتجريح وذم بالنسبة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول تقع في دائرة التصحيح العملي وان على الشيعة في كل الارض ان تعي ما تقرأ كل الوعي وان لا تردد ما وضع تحت يدها من مطبوع او مخطوط بذريعة انها صدرت من احد ائمة الشيعة، واني لا اشك ان كثيراً من الزيارات التي نسبت الى ائمتنا لو كان قد وصل الى علمهم لأجروا حد الكذب والافتراء على واضعها وان اشد الناس عذاباً يوم القيامة المفترون.

« ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب
وقد خاب من افترى. » طه ٦٠

البداء

فكرة البداء تتناقض مع قول الله تعالى :
« وما تكون في شأن وماتتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين. »
يونس ٦٠

البداء

تفسير الخطأ بالخطأ يعني الاستمرار فيه وعدم الخروج منه حتى قيام الساعة ومن هنا اود القول انه لو كانت لبعض علمائنا الشجاعة العلمية وخلوص النية ونقاء الفكر وصفاء الذهن لما ساروا في درب شائك لتفسير كلام موضوع او جملة موضوعة او فكرة تتنافى مع اصول العقيدة والبديهيات العقلية معاً فالقول بالبداء والاصرار عليه والابقاء عليه في كتب الزيارات والروايات معاً هو النموذج الاكمل في الاصرار على العزة بالاثم وما دامت الحالة هذه فطريق الخلاص من الاوهام صعب وعسير والعناية الالهية لا تشمل قوماً قال تعالى فيهم :

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.»لقمان ١٩

وكما قلنا قبل قليل وفي فصل الرجعة ان مفهوم البداء غامض عند الاكثرية الساحقة من ابناء الشيعة الامامية بل لا يعرفون شيئاً عن فحواها وحتى اذا ما سألتهم عن معنى الكلمة فهم يحيرون جوابا، ولكن مع كل هذا وهو من دواعي الاسف والحزن العميق فيما وصلت اليه حال هذه الامة بفضل زعاماتها المذهبية ان هناك عشرات الآلاف من الشيعة وان شئت فقل مئات الآلاف منهم يكررون الجملة الآتية :

« السلام عليكما يا من بدا لله في شأنكما.» (١)

وذلك عندما يدخلون الى مرقد الامامين العسكريين في سر من رأى للسلام على الامامين العاشر والحادي عشر عند الشيعة. ان الشيعة تردد هذه العبارات كلما دخلت في صورة آحاد او جماعات الى مرقد الامامين علي النقي والحسن العسكري وهي لا تعرف معنى البداء ولا الجملة القائلة :

« يا من بدا لله في شأنكما.»

ولا الاسباب التي كانت وراء وضع الجملة تلك ولا تعرف الخطورة الكامنة في هذا الكلام الذي فيه انتقاص من سلطان الله وعلمه وارادته وحكمته، ولكن

---

١ ــ مفاتيح الجنان، ص ٩٢٩

الادهى من ذلك انه لم يحدث حتى هذا اليوم ان انبرى عالم من علمائنا لحذف هذه الجملة من الزيارة او المنع من قراءتها شأنها شأن المئات من العبارات والجمل التي ملئت كتب الزيارات والروايات وكلها تتناقض كما قلنا اكثر من مرة مع اساس العقيدة وروح الاسلام.

اما معنى البداء والفكرة التي بين ثناياه وما تعنيه في زيارة الامامين العسكريين هو ان الامامة حسب التسلسل الموجود في عقيدة الشيعة الامامية تنتقل من الاب الى الابن الاكبر مستثنىً من هذه القاعدة الحسن والحسين فالامامة بعد الامام الحسن انتقلت الى الامام الحسين ولم تنتقل الى الابن الاكبر للحسن وذلك لنص ورد عن رسول الله (ص) حيث قال :

« الحسن والحسين امامان قاما او قعدا.»

فقد حدث ان اسماعيل وهو الابن الاكبر للامام جعفر الصادق الامام السادس عند الشيعة قد توفي في عهد ابيه فانتقلت الامامة الى اخيه موسى بن جعفر الابن الاصغر للصادق وهذا التغيير في مسار الامامة التي هي منصب الهي يسمى بداءاً حصل لله تعالى فانتقلت الامامة الالهية بموجبه من اسماعيل الى موسى بن جعفر ومن ثم الى اولاده ولم تأخذ الطريق الطبيعي لها الذي هو انتقال الامامة من الاب الى الابن الاكبر.

ولكن السؤال المحير هنا لماذا سمي تغيير مسار الامامة بداءاً ونسبوا شيئاً كهذا الى الله تعالى لاثبات امر لم يكن اثباته بحاجة الى انتقاص من سلطان الله، الجواب هنا يكمن في تلك الملابسات والظروف التي حصلت في عهد الصراع الاول بين الشيعة وانتشيع فالامامة عندما تكون الهية لا تخضع للانتخاب المباشر ولا يتغير مسارها بموت الامام الشرعي فحينئذ تنتقل الامامة هذه حسب الناموس الالهي الذي لا يتغير من الاب الى الابن ولهذا قيلت في الامامة انها تكوينية اي لا تخضع لمتغيرات الزمان والمكان شأنها شأن العلة والمعلول الذاتيين الذين لا ينفك احدهما عن الآخر وهذا يعني ان الامام الاب لا سلطة له في تعيين الامام الذي سيخلفه لانه معين بارادة الله. وهذا الصراع الفكري حدث بين الشيعة انفسهم قبل ان يمتد نحو آفاق اوسع قبيل عصر الغيبة الكبرى مباشرة وذلك عندما بدأ المذهب الاسماعيلي يظهر على ساحة الافكار الاسلامية ويهدد وحدة الشيعة بالتمزق الداخلي وكان المذهب الاسماعيلي يرى ان الامامة الالهية مستمرة بالصورة التي ارادها الله منذ الازل وهي في نسل علي واولاده حسب التسلسل السني وهذا يعني ان

الامام الأب لا سلطة له في تعيين الإمام الذي سيخلفه لأنه معين بإرادةالله فإذا مات الوريث الشرعي الذي هو إسماعيل فلا يحق لأبيه الصادق أن يعين موسى ابنه الأصغر بل تنتقل الإمامة إلى الابن الأكبر من ظهر إسماعيل وبما أن الشيعـة تبنت فكرة الإمامة الإلهية بالصورة نفسها فلكي تخرج من هذا المأزق قالت بفكرة البداء لكي تلقي مسؤولية انتقال الإمامة من إسماعيل بن جعفـر إلى موسى بن جعفـر على الله وليس على الإمـام الصادق ولتفنيد العقيدة الإسمـاعيلية. وكما يعلم الجميع فإن الإمامة لازالت مستمرة عند الإسماعيليين حتى هذا اليوم والإمام عندهم حي حاضر ومن نسل إسماعيل ولم يحيدوا عن هذا المنحنى الفكري الذي أملاه عليهم مذهبهم قيد انملة.

ونعود الى فكرة البداء فنقول انها ظهرت في ابان ظهور الفرقة الاسماعيلية التي اخذت تناهض الشيعة وتخرق وحدتها ولذلك لا نجد اثراً لفكرة البداء حتى اوائل القرن الثالث الهجري، واول امام يخاطب بشموله للبداء هو الامام العاشر ومن بعده الحادي عشر للشيعة في حين انه كان من الاجدر والاولى ان يخاطب الامام موسى بن جعفر بشموله للبداء حيث كان هو موضوعه فلا الامام موسى ولا ابنه علي الرضا ولا حفيده محمد الجواد قد خوطبوا بكلمة فيها اشارة الى حصول البداء بحقهم الامر الذي يؤكد لنا ان اللجوء الى تبني فكرة البداء انما حصل عندما اخذ التيار الاسماعيلي يشق طريقه الى الوجود والظهور في اوائل القرن الثالث الهجري وهو عصر الامام العاشر والحادي عشر للشيعة.

لقد التجأ بعض اعلام الشيعة الى البداء حتى يثبتوا تغيير مسار الامامة من اسماعيل الى موسى بن جعفر في حين ان الامامة وانتقالها من كابر الى كابر وبالصورة التي رسمتها الشيعة قبل عهد الصراع بين الشيعة والتشيع لم تكن بحاجة الى القول بالبداء وتغيير الارادة الالهية فبوفاة مرشح الامامة تنتقل الامامة الى المرشح الثاني حسب ما يوصي به الامام الصادق الذي شاهد وفاة ابنه المرشح للامامة ولاشك انه قال كلمته في الامام الذي يتولى شؤون الفتيا والفقه بعده وفي كلام الامام وتعيينه الوارث الشرعي فصل الخطاب.

ان موضوع البداء احتل جانباً من الكتب الشيعية وافرد له بعض الاعلام فصولا او كتيباً يدافع عن معنى البداء وفحواه، وانتهى الجدل ذاك الى الابحاث الفلسفية والكلامية التي احتلت اجزاءاً كثيرة من الكتب الكلامية في الارادة

الالهية وهكذا الآجال الحتمية والمقدرة والقدر الذي يدفعه الحذر والبلاء الذي تدفعه الصدقات وما الى ذلك من كلام يعرفه اهل العلم والفضيلة وكل من الم بالصراع الفكري بين الاشاعرة والمعتزلة وغيرهم من مفكري الاسلام كما ان بعض اعلام الشيعة وجد الحل للخروج من مأزق البداء بالتفصيل بين النسخ التشريعي والنسخ التكويني وقال ان البداء هو النسخ في التكوين، ولست ادري ان الذين كتبوا في البداء هل وجدوا في الآية الكريمة :

« يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.»

الرعد ٣٨

حلا لتلك المعضلة ان كانت معضلة ام لا ؟ ومهما يكن من امر فان الذين كتبوا والفوا في البداء لم يضيفوا الا اوهاماً على اوهام وسفسطة الى سفسطة ولو انهم وجدوا حل المعضلة بالآية الكريمة التي اسلفناها لكان لهم خير طريق للخروج من مأزق وضعوا انفسهم فيه ولم ينته الامر بهم للخروج منه الى الطعن في سلطان الله وانه تعالى كان يريد شيئاً ثم بدا له غيره.

التصحيح

لقد قلنا ونؤكد ان القواعد الشيعية لن تواجه مشكلة فكرية باسم البداء وحتى مع قرائتها للجملة التي اشرنا اليها فهي تمر عليها مر الكرام ولا تعيرها اهتماماً لما فيها من ابهام وغموض ولكن الذي لاشك فيه ان الفكرة وردت في اكثر من مكان والشيعة تتداول العبارة في كل صباح ومساء عندما تذهب للسلام على الامامين في سر من رأى ولاشك ايضاً انه لم يحدث قط حتى هذا اليوم ان مرجعاً من مراجع الشيعة او عالماً من علمائها امر بحذف هذه الجملة من كتب الزيارات التي تربو على العشرات من المجلدات كما انه لم توجد فئة من اعلامنا تستنكر هذه الجملة اجمالا او تفصيلا بالعلن والجهار ولاشك ايضاً ان فكرة البداء من الافكار الموضوعة والعبارة ايضاً من الموضوعات التي نسبت الى الائمة وادخلت في الكلام الذي يقال امام قبري الامام العاشر والحادي عشر ويعود وضعه على وجه التأكيد الى عهد الصراع الاول بين الشيعة والتشيع كما اثبتناه قبل قليل ومن هنا نؤكد مرة اخرى الى غربلة كل الموروثات التي ورثناها من الماضي وادخلت في العقيدة الشيعية سواءاً كانت فيها انتقاص في حق الله تعالى او في حق رسوله او خلفائه او ائمة الشيعة الذين هم ائمة المسلمين ايضاً وهنا نصل ايضاً الى نتيجة بالغة الخطورة وهي ان الذين كانوا وراء الصراع بين الشيعة والتشيع لم يتورعوا في سبيل نياتهم

واهدافهم حتى من التطاول على القدرة الالهية وصفاته كي يحققوا اهدافاً تتناقض مع اساس العقيدة والعقل والمنطق، واملي بالله كبير وادعوه مخلصاً ان ينجلي هذا الليل المظلم وتشرق شمس الحقيقة على القلوب الصافية المستعدة لتقبل الحق فتسعى جاهدة لارساء اهداف التصحيح كل حسب قدرته وجهده وبذلك تعود الشيعة الى عصر الرسالة الاولى وتنعم بخلق جديد.

التصحيح بين القبول والرفض

تصحيح الافكار الدخيلة والآراء المهلكة وغير السليمة يفرضها القرآن الكريم وسنة رسول الله (ص) والعقل والفطرة السليمة، ولاشك ان المواعظ البالغة التي تستمد من هذه الينابيع تستقطب القلوب الصافية والنفوس المستعدة وترشد أهلها الى الحق افواجا.

التصحيح بين القبول والرفض

ان الفكرة التصحيحية التي نادينا بها لأول مرة في تاريخ الشيعة والتشيع لاشك وانها ستلاقي ردود فعل مختلفة على صعيد العالم الشيعي وذلك حسب البيئة التي يصل اليها نداء الاصلاح. ومن الطبيعي أن فئات من رجال الدين والمتاجرين بالطائفية وفي مقدمتهم كثير من الزعماء الدينيين سيقاومون الفكرة التصحيحية بكل ما لديهم من قوة وجهد.

وقد نعذر هؤلاء لما يصدر منهم من ردود فعل قد تكون بعضها عنيفة لأن خطر التصحيح يهدد مجدهم وسلطانهم وكياناً بنوا عليه امالا عريضة وسيعة طيلة قرون وقرون. غير أن الذي لاشك فيه هو أن الأكثرية الساحقة من الطبقة الواعية المثقفة من ابناء الشيعة ستستجيب لنداء التصحيح وتقف وراءه كالبنيان المرصوص لأن فيه عز الدنيا وخير الآخرة معا.

وهنا اود ان اوجه نصيحة الى الطبقة الواعية التي بنينا آمال التصحيح عليهم وأقول لهم ان كلمة الحق تدعم نفسها بنفسها ولا تحتاج الى العنف والقسوة في الدعوة اليها ولنا في رسول الله (ص) اسوة حسنة حيث يخاطبه سبحانه وتعالى بقوله :

« ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنفضوا من حولك. »
آل عمران ١٥٩

ويخاطبه في مكان آخر ويقول :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة،
وجادلهم بالتي هي احسن.» النحل ١٢٥

فلذلك يجب على كل فرد يأخذ على عاتقه واجب الدعوة الى التصحيح ان يسلك طريق الحسنى وعدم الشدة والعنف في مخاطبة غيره ولاسيما الشيوخ والطاعنين في السن فليس من السهل على اناس بلغوا من السن عتيا ان ان يقلعوا عن عادة في القول او الفعل تعودوا عليها منذ سنين الصبا ودُرِّبوا عليها تدريبا. فمثلا وليس على سبيل الحصر، هل يا ترى أن انساناً ما تعود منذ نعومة اظفاره ان يستعين بغير الله وينادي ذلك الغير بكلمة (يا) نبياً كان

المنادى او اماماً او ولياً يستطيع ان يقلع عن هذه العادة والعقيدة معاً بين عشية وضحاها ؟

وكثير من الشيعة ينادون غير الله في طلب المعونة، ولست ادري لماذا نحن معاشر الشيعة نترك الله القادر على كل شيء ونستعين بغيره وهو الذي امرنا بالاستعانة به :

« اياك نعبد واياك نستعين.» الفاتحة ٥

وهو الذي يخاطب عباده بقوله :

« ادعوني استجب لكم.» غافر ٦٠

ويقول سبحانه في مكان آخر :

« ونحن اقرب اليه من حبل الوريد.» ق ١٦

وليس على سبيل الحصر ايضاً، فهل يا ترى ان من السهل ان تحمل الشيعة على الاقلاع من السجود على التربة الحسينية التي صنعت في اشكال مختلفة كما اشرنا اليها وهي ترى ان زعمائها الدينيين يسجدون عليها في صلواتهم ومساجدهم مليئة بها ؟

وهل يا ترى ان من السهل ان تحمل الشيعة على الاقلاع من تسمية اولادها بالعبودية لغير الله ؟ وهذه ظاهرة لا نجدها عند اية فرقة اخرى من الفرق الاسلامية وحتى غير الاسلامية. والشيعة هي الطائفة الوحيدة التي تسلك العبودية لغير الله حتى في تسمية اولادها.

واذا تصفحنا تاريخ ائمة الشيعة مبتدئاً من الامام علي حتى آخر أئمتهم لم نجد احداً منهم عبَّد ولده لغير الله في التسمية، ولست ادري منذ متى بدأت الشيعة تسمي اولادها بهذه التسميات التي تتناقض مع روح الاسلام، فالعبودية لله وليس لغيره، والانسان لا يكون عبداً لأنسان آخر مهما كان شأن ذلك الأنسان عند الله.

واعود مرة اخرى لأوكد على الطبقة الداعية للتصحيح واقول ان تغيير هذا المنحنى الفكري عند الشيعة الامامية لا يمكن ان يحدث بين عشية وضحاها بل يحتاج الى زمان ومثابرة وصبر وتثقيف حتى يدخل في القلوب ولذلك فان

المسؤلية خطيرة يجب السير عليها خطوة بعد خطوة ولا سيما ان فكرة التصحيح تلاقي مقاومة عنيفة من قبل اولئك الذين اشرنا اليهم في مقدمة هذا الفصل كما ان علينا ان لا نغفل ابداً تلك القوى الاستعمارية التي لا تزال تتربص بالمسلمين ولا تريد وحدتهم وتسعى للتفرقة بينهم فهي تحاول جاهدة وعن طريق اقلام مأجورة عاشت على الفرقة واثارة الضغناء ان تقارع حركة التصحيح وهي لا تدَّخر جهداً في سبيل ذلك، وهناك فئات ساذجة عبَّر الامام علي عنهم بقوله :

« همج رعاع يميلون مع كل ريح، اتباع كل ناعق،
لم يستضيئوا بنور الله.»

وهي تسير في ركب زعاماتها المذهبية وتأتمر بأمرها وهي المنفذة لكل البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي عبر القرون.

ان هذه القوى كلها تجتمع كيد واحدة لتضرب حركة التصحيح ولكنني اقول مسبقاً ان التصحيح اقوى منهم بكثير وسينتصر عليهم في نهاية المطاف، وذلك لأن مقارعة التصحيح والوقوف ضده يرتطم بجدار صلب ضخم لا ولن تستطيع اية قوة ان تنفذ منه وذلك لأننا وضعنا قواعد التصحيح على كتاب الله وسنة رسوله (ص) وعمل وأقوال الامام علي الذي اتخذها فقهاء المذهب الشيعي حجة على انفسهم ثم على دعامة العقل الذي اعتبره علماء الشيعة الركن الرابع من اركان استنباط الاحكام الشرعية، وهذه الدعائم الاربعة حجة على علماء الشيعة لا ولن يستطيعوا ان يحيدوا عنها او يقارعوها.

وهنا لابد من العودة على البدء والاشارة الصريحة الى أن كتب روايات الشيعة ولاسيما تلك التي تعتبر صحيحة وموثوقة على حد تصور فقهائنا وهي لا تخلو كما قلنا من روايات تنسب الى أئمتنا وهي تتناقض مع ضروريات الاسلام واصوله وتتناقض مع الادلة الاربعة التي اعتبرها فقهاء الشيعة اساس الاستنباط للأحكام الفقهية.

ان مثل تلك الروايات الموضوعة في هذه الكتب والتي نسبت الى أئمة الشيعة ، الذين هم أمروا بنبذ كل رواية تنسب اليهم اذا كانت تخالف كتاب الله وسنة رسوله قد تؤخذ كذريعة للوقوف ضد التصحيح واهدافه.

ولذلك نحن نهيب بالطبقة الواعية المثقفة التي نعتبرها السند الأول والأخير

لحركة الاصلاح ان تحكم كتاب الله ورسوله والعقل في كل رواية يستند عليها بعض فقهائنا وعلمائنا لتثبيت البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي وأن يكون كل فرد هو الحكم والقاضي في كل ما يلقى على مسامعه من غث او سمين او صحيح او سقيم باسم الروايات الواردة عن أئمة الشيعة، وهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص من سلاسل قيّدت عقول الشيعة وقلوبهم عبر القرون.

لقد سمع العالم قبل اكثر من عام زعيماً من زعماء المذهب الشيعي يخطب امام الجماهير الشيعية في طهران وينقل كلامه عبر الأثير وهو يقول :

« ان جبرائيل كان ينزل على السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة ابيها ويحدثها عن قضايا كثيرة.»

والمسلمون يعتقدون ان هذا الكلام يتناقض مع ضروريات الاسلام وعقائده الاساسية فالوحي قد أنقطع بعد وفاة رسول الله (ص). غير ان هذا الكلام ورد على لسان هذا الفقيه استناداً على تلك الروايات الموضوعة التي طالما طلبنا غربلة الكتب الشيعية منها. ولكن الادهى من ذلك ان كلاماً كهذا لم يلق مجابهة من قبل نظراء ذلك الفقيه واقرانه بل اذعنوا لصحة هذه الرواية بالسكوت الذي هو من علائم الرضى. ولذلك نحن دائماً نُحمِّل بعض زعماء المذهب وعلمائه المسؤلية الكبرى على تلك البدع التي الصقت بالمذهب الشيعي ووقفوا منها موقف المؤيد او المسالم. وهذا هو الامام علي يخاطب رسول الله (ص) عندما كان يلي غسله وتجهيزه بقوله :

« بأبي انت وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء واخبار السماء.» (١)

وبعد كل هذا فماذا تكون الطريقة التي تسلكها الفئات التي ترفض التصحيح عندما تخذلهم البينات وتقارعهم الحجج.

هناك طريق واحد تسلكه عادة اصحاب النفوس المريضة والمأجورين والجهلاء انه طريق التجريح والطعن في صاحب الدعوة والرأي شأنهم شأن اولئك الذين ذكرهم الله في محكم كتابه بقوله :

١ــ نهج البلاغة ج ٣، ص ٢٢٨.

« ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكو ن امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون.» النحل ٩٢

« ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير. ثاني عطفة ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق.» الحج ٩

صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

اجازة

الحمد لله الذي اجاز للعلماء ما اجاز وصلى على محمد وآله مجاز الحقيقة وحقيقة
ومجد فان جناب العالم الفاضل ثقة الاسلام الآغا [illegible] حفيد المرحوم
آية الله العظمى السيد ابو الحسن الاصفهاني الموسوي رضوان الله عليه ممن بذل
جهده في تحصيل العلوم الشرعية حتى حاز بحمد الله تعالى رتبة ملكة الاجتهاد
مقرونة بالصلاح والسداد وقد اجزت له لاهليته ان يروي عني
ما صحت لي روايته من مشايخي العظام واساتذتي الكرام . [illegible]
ولا ينساني من صالح دعواته [illegible] . والله سبحانه يوفقه ويرعاه

صدر من مدرستنا العلمية
بالنجف الاشرف

بدعاء
محمد الحسين
آل كاشف
الغطاء

١٣٧١

صورة من الشهادة العليا في الفقه الاسلامي (الاجتهاد) التي نالها المؤلف قبل ثلاثين عاما من المرجع الديني الاعلى زعيم الحوزة العلمية في النجف الاشرف الشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطأ رحمه الله عليه.

تنبيه هام

لكي تبقى رسالة التصحيح مستمرة في التقدم لقد اخذ المجلس ألاسلامي الاعلى على عاتقه اصدار مجلة شهرية تهتم بشئون التصحيح واهدافه ومبادئه وان المجلة سوف تنشر المقالات والكلمات التي تصلها حول التصحيح بغض النظر عن الاتجاه الذي يسير فيه صاحبها على شرط ان يكون صاحب المقالة او الكلمة من ذوي الاختصاص بشئون الدين والفقه والعلوم الاسلامية. كما ان العلماء المشرفين على المجلة سيجيبون على الاسئلة التي توجه اليهم حول التصحيح على شرط ان تكون الاسئلة موجزة.

الرسائل تعنون الى المجلس الاسلامي
الاعلى على العنوان البريدي التالي

POST-TEL CENTER
2210 Wilshire Blvd., Suite 451
Santa Monica, CA 90403
U.S.A.